الحرب على غزّة

الجزء الثالث

الطّبعة الأولى السّداسي الثاني 2024
الحرب على غزّة –الجزء الثّالث
بقلم: بديعة نعيمي
رقم الإيداع:
تدقيق لغوي: عبد الفتاح بلحبيب
تصميم الغلاف: دليلة حسناوي
لوحة ورؤية الغلاف: الفنان عبد السلام خليفة
تصفيف: عبد الفتاح بلحبيب
الأمير للنشر والتوزيع والترجمة Maison d'édition El Amir
3 Boulevard Charles Moretti 13014, Marseille. France
الإيميل: assoelamir@gmail.com
الهاتف: 0033760734119

جميع الحقوق محفوظة

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إليكترونية أو ميكانيكية بما في ذلك التسجيل الفوتوغرافي على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما في ذلك حفظ المعلومات واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إنّ الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن رأي النّاشر.

بقلم: بديعة نعيمي

الحرب على غزة

الجزء الثالث

بسم الله الرّحمن الرحيم

﴿وما جعله الله إلّا بشرى لكم ولتطمئنّ قلوبكم وما النّصر إلّا من عند الله العزيز الحكيم ﴾صدق الله العظيم. آل عمران 126

شرّفتني الأخت الكريمة الأستاذة بديعة النّعيمي بكتابة مقدّمة الجزء الثّالث من سلسلة الحرب على غزّة، ولظروف خاصّة تأخَّرت أياما في البدء بالكتابة لتدخل المعركة منعطفا جديدا يمتلئ بالأحداث المتتالية. لا أعرف عندما يصبح هذا الكتاب بين أيديكم أين سنكون؟ هل سنكون في القدس وتل أبيب أو على أبوابهما نتابع أو نشارك -ندعو الله عزّ وجلّ أن نكون معهم- رجالا للأمة يجوسون خلال الدّار؟ أم نحمل فوق الخذلان أشلاء نسائنا وأطفالنا ليس في غزّة وفلسطين فقط، بل على امتداد خريطة الوطن من أقصى إلى أقصى؟

نعود للكتاب الذي أخذتنا فيه كاتبتنا في رحلة شيّقة رغم حزن حروفها لتخترق الماضي القريب والبعيد حيث تاريخ البدايات المؤلمة وتأسيس حركة عنصرية صهيونية لم يشهد لها التّاريخ مثالا يعتمد على إبادة الآخر –نحن- بلا شفقة ولا اهتمام لأيّ قيم ادّعى ما يُسمّى بالعالم الحرّ –كذبا- أنّه حقّقها بعد ثمن ضخم من الحروب والقهر والإبادة.

لن تجد في تاريخ العالم كلّ هذا العدد من منظري الإبادة والإلغاء إلّا في تاريخ ظئرتها الكبرى الولايات المتّحدة التي أبادت شعوبا بأكملها من خريطة البشرية جغرافيّة وتاريخًا، وأبقت في ذاكرة الإنسانية دماءً ودموعا في كلّ مكان ذهبت إليه منذ ظهورها متّحدة على خريطة العالم.

ترصد كاتبتنا مراحل الصّراع المرير بلغة حزينة رشيقة مشبّعة بالأمل لترصد بدايات نشأة التّكوين، مرورا بمحطّات الإبادة التي لم ينجح المستوطنون

وأجدادهم إلّا فيها، ثمّ تحطّ رحال كلماتها على أزقّة وحواري غزّة ترفرف في سمائها كطائر اللّقلق الحزين ... كيف كان الموت فينا مكرمة وفخارا ... كيف صمد الرجال، وكيف خُذلوا دائما وتركوا وحدهم ... وكيف انتصروا على كلّ قريب وبعيد، أخ وعدوّ ... كيف خان الجميع بالخذلان مرّة وبالاتّفاق مرات ... كيف سقطت كلّ شعارات الإنسانية مع أشلاء أطفالنا في غزّة ...

لكن أجمل ما قرأته في تلك الكلمات الرّشيقة رغم ثقل الحزن ومرارة الخذلان، هو الأمل في كلّ الكلمات التي تشعّ بالنّصر ولا تعرف الانكسار، فقط لأنّها تحكي عن فلسطين وأهلها، وأصحاب الأنفاق ورجالها.

في كلمات تلك الصّفحات نعرف أنّ المقاومة هي دائما التي تنتصر ... لم تخسر مقاومة واحدة في التّاريخ خلفها شعب ... تخسر فقط في عقول الحمقى الذين لا يرون الحاضر ولا يستشرفون المستقبل، وبالتّأكيد لا يعرفون شيئا عن التّاريخ.

د. عصام محمد موسى

أستاذ بكلية طب الأزهر بالقاهرة

الثالث عشر من ربيع الثاني 1446

الخامس من أكتوبر تشرين 2024

الحرب على غزّة: كمصير شارون

آرئيل شارون البولندي ابن عصابة الهاجاناه الذي نكّل بالشّعب الفلسطيني على مرّ عقود، وكان له يد في جميع حروب دولة اليهود منذ 48 وما بعدها من حروب. هو نفسه مهندس الاستيطان والطّرق الالتفافية، ومهندس الجدار العازل عام 2001 الذي حاصر الضّفة الغربية.

شارون منشئ الفرقة "101" التي تخصّصت في الغارات اللّيلية على مراكز المقاومة وتنفيذ عمليات الاغتيالات المستهدفة. وهو نفسه مرتكب مجزرة قبية المعروفة مع الفرقة "101"، ومهندس مجزرتي صبرا وشاتيلا، وعملية اجتياح لبنان، ومجزرة جنين 2002.

شارون المجرم والمتغطرس هو نفسه ذلك الذي دخل غيبوبة بتاريخ 04 يناير 2006 بسبب سلسلة سكتات دماغية، وخرج منها عام 2014 إلى قبره، حيث حاول الأطبّاء وقتها مساعدته من خلال إدخاله في غيبوبة ليجنّبوه الألم، ثمّ أجروا له عمليّة جراحية بهدف تخفيف الضّغط على المخّ ومحاصرة الجزء المتضرّر جراء الجلطة. هذا المخ الذي خطّط وهندس المجازر وصنع الألم للشّعب المسلوب حقّه، تمرّد على صاحبه حين فشلت العمليات ومحاولات الأطبّاء في إنقاذه فاستمر على الأجهزة الطبّية. فكان توصيل السّوائل لضمان بقائه على قيد الحياة عن طريق أنبوب، وتمرير الأكسجين إلى رئتيه أيضا عن طريق أنبوب. حاصر الشّعب الفلسطيني بالمستوطنات وخنقهم، فحوصر هواؤه بأنبوبة ضيّقة تتحكّم في حياته حتّى أصبح مخّه بحجم البرتقالة وتعفّن جسده حتّى هجره الأحباب والزّوجة والأولاد وطلبوا من الأطبّاء إزالة الأنابيب التي تمدّه بالحياة. فسبحان المنتقم الجبّار.

واليوم في غزّة نجد ابن حزب الليكود الذي شارك شارون في تأسيسه، بنيامين نتنياهو البالغ من العمر 74 عاما والمتدهور صحّيًّا، يعاني من أمراض خطيرة وأجرى قبل أيام عملية فتق، يرتكب أكثر ممّا ارتكب شارون. فارتكب المجازر التي وصلت إلى حدّ الإبادة وأكثر، ودمّر البنية التّحتية لقطاع غزّة، وتجبّر وتكبّر وسار ولا زال مزهوًّا بانتصارات وهمية وكاذبة. وبهذا ينطبق عليه قوله تعالى: ﴿ ومهّل الكافرين أمهلهم رويدا﴾. فماذا ينتظر هذا النّتن المعلول جسديا ونفسيا؟ هل ينتظر مصيرا كمصير شارون، وأنابيب تضن له بذرات الأكسجين في غرفة معزولة وثمانية أعوام حتّى يتعفّن الجسد النّجس؟

الحرب على غزّة: ورطة بحجم أزمة

لطالما ورّطت دولة الاحتلال نفسها في حروب لم تعد عليها سوى بالخراب. مثال على ذلك، الحرب على لبنان 2006. وقد أطلقت بالفعل اسم "ورطة" على تلك الحرب التي دمّر الجيش خلالها معظم البنية التّحتية للضّاحية الجنوبية وارتكب المجازر، وخلّفت قرابة المليون نازح. أمّا دولة الاحتلال فقد تكبّدت خسائر يومية قُدّرت وقتها بعشرات الملايين.

وقد أثبتت هذه الحرب أنّ اقتصاد دولة الاحتلال لا يحتمل حرب استنزاف طويلة الأمد وذلك لهشاشته. وكما جلب الغوص في وحل لبنان المشكلات لـ"مناحيم بيغن" عام 82، جلب المشكلات لـ"إيهود أولمرت" عام 2006. اليوم غزّة لا تختلف عن لبنان، غير أنّ الوحل كان أشدّ عمقا وأكثر لزوجة، ونتنياهو أدخل نفسه وجيشه بمشكلات وحرب استنزاف ستأتي على الدولة. فمثلما دخل "أولمرت" عام 2006 لبنان بغطرسة الحرب ووهم القوّة دون تفكير في العواقب وخرج منها ذليلا، سيخرج نتنياهو الذي دخل أيضا بنفس الغطرسة ووهم القوة.

والضّربات التي تعرّضت لها دولة الاحتلال عام 2006 بعد تورّطها في لبنان من حيث الخسائر وشلّ الجبهة الدّاخلية، وتحويل مئات الآلاف من اليهود إلى لاجئين، وانكسار أسطورة الجيش الذي لا يقهر، وهجرة الآلاف من سكان الدّولة المهترئة إلى خارجها، اليوم في غزّة تتعرّض وبشكل أقوى لضربات تسير بها نحو الهاوية. فدخول غزّة 2023 هو الورطة الأشدّ منذ قيامها، ويعتبر تهوّرا من طرف "بنيامين نتنياهو"، فقد دخلها دون تفكير بطريقة للخروج منها، معتقدا أنّها لقمة سائغة، فكان التّقليل من حماس وقدراتها خطأ فادحا وتورّطا في كارثة إنسانية غير مسبوقة. وها هي غزّة شوكة عالقة في حلقه، فلا هو قادر على لفظها ولا على

ابتلاعها. جيشه المستنزف عالق بين الرّكام الذي خلّفته آلته الهمجية، يغرق في أنهار من الدّماء البريئة دون أن يعرف كيف يخرج منها. ومع ذلك لا زال "نتنياهو" يتبجّح بانتصاراته في غزّة وأنّ جيشه متفوّق في نواحٍ كثيرة، ونسي كيف يفرّق بين الخيال والأحلام التي يتمنّاها، وبين الواقع والحقيقة التي يرفض الاعتراف بها.

غير أنّ هذه الحرب وقد دخلت شهرها السّابع، أثبتت صمود المقاومة الفلسطينية، وبالمقابل ضعف جيش الاحتلال. كما كشفت عن حجم الورطة التي تورّطت بها دولة الاحتلال، والأزمة الاستراتيجية التي دخلتها دون القدرة على إيجاد مخرج سياسي لحفظ ماء الوجه لها.

الحرب على غزّة: كيف خدم قانون التّنحّي نتنياهو؟

كان بنيامين نتنياهو قد اتُّهِم بقضايا فساد زجّت به في هوّة قانونية عميقة. ومن هذه القضايا ما تناولته وسائل الإعلام مثل تلقّي زوجته "سارة" هدايا باهظة الثّمن، واستغلاله لمنصبه بهدف تحقيق مصالح خاصّة به، وتقديم رشاوى لصحف ومواقع إخبارية لنقل أخبار إيجابية عنه وعن زوجته.

غير أنّ قانون التّنحّي الذي جاء لحماية نتنياهو من عواقب انتهاكاته المحتملة لاتّفاق تضارب المصالح الذي وقّعه عام 2020 للسّماح له بتولّي منصب رئيس الوزراء أثناء محاكمته بتهم الفساد، والذي ينصّ على أنّ هناك طريقتين فقط لإقالة رئيس وزراء من منصبه. الطّريقة الأولى هي إبلاغ الكنيست بتنحيه، وقد رفض نتنياهو جميع المطالبات باستقالته. أمّا الطّريقة الثّانية فتتمّ بعزله من خلال تصويت ثلاثة أرباع أعضاء مجلس الوزراء، على أن يتمّ تأييد القرار بأغلبيّة تتألّف من 90 عضوا في الكنيست. وهنا قال حلفاءٌ لنتنياهو في الكنيست أنّهم يسعون لمنحه حصانة برلمانية من الملاحقة القضائية، وبهذا يكون هذا القانون قد أعطاه فرصة البقاء في الحكم حتّى بداية الدّورة المقبلة للكنيست.

وقد شهدت على إثر تلك الخطط المثيرة للجدل بهدف إضعاف القضاء من قبل الائتلاف الحكومي الدّيني اليميني المتطرّف بزعامة نتنياهو مدينتي "تل أبيب" و"حيفا" تظاهرات احتجاجا على تلك الخطط. إلّا أنّه وبعد عملية 07 أكتوبر تمّ تعليق هذه التّظاهرات وانقلبت منذ بداية حربه على غزّة إلى تظاهرات تطالب بإعادة الرّهائن لدى حركة حماس، حيث خرج آلاف من المتظاهرين في دولة الاحتلال إلى شوارع "تل أبيب" وغيرها من المدن للمطالبة باستقالة نتنياهو وإجراء انتخابات مبكّرة بسبب إخفاقه في إعادة الرّهائن، بالإضافة إلى فشله في التّعامل مع الحرب.

غير أنّ نتنياهو الذي يعتمد مستقبله السّياسي على نتيجة الحرب، لم يكترث بالدّعوات المتزايدة للمتظاهرين التي تطالبه بالاستقالة، وأنّه سيواصل الحرب حتّى النّصر وأنّ لا أحد يستطيع منعه من القتال حتّى تحقيق أهدافه.

فهل ما يقوم به نتنياهو بالفعل من إطالة للحرب وارتكاب مئات المجازر وتدمير البنية التّحتية لقطاع غزّة هو من أجل البقاء في الحكم لأنّه يعلم أنّه وبمجرّد إنهاء الحرب تنتهي مسيرته السّياسية؟ وأنّ ما اتّهمه به بعض السّياسيين في دولة الاحتلال بأنّه يريد جرّ الشّرق الأوسط إلى الحرب من أجل البقاء في السّلطة هو اتّهام صحيح؟

الحرب على غزّة: الشّعب آخر همّهم

واجهت ألمانيا بعد صعود النّازية وتسلّمها سدّة الحكم، دمارا اقتصاديا جراء قلّة صادراتها بعد المقاطعة العالمية لها؛ فجاءت اتّفاقية "هاڤار للتسفير" بين الحركة الصّهيونية والنّازية عام 1933 لكسر هذه المقاطعة. وقد تمثّلت هذه الاتّفاقية في "أنّ اليهود الذين سيغادرون ألمانيا إلى فلسطين يمكنهم استعادة بعض أموالهم باستعمال تلك الأموال لشراء المصنوعات الألمانية التي يمكنهم بيعها بعد ذلك". وقد أدّى بالفعل التّطبيق العملي للاتّفاقية إلى تقوية النّازية من خلال إنقاذ اقتصاد ألمانيا.

الحقيقة أنّ الحركة الصّهيونية لم يكن من أهدافها إنقاذ اليهود كما ادّعت وروّجت، إنّما كانت تنوي من خلال نقل جانب من ممتلكات هؤلاء اليهود معهم إلى فلسطين الحصول على أجزاء كبيرة منها لتغذية مشروع الاستيطان الصّهيوني في فلسطين. وليس أدلّ على ما حدث من قول أدولف أيخمان (أحد المسؤولين الكبار في الرّايخ الثّالث، والمتعاون مع الحركة الصّهيونية لدفع اليهود للهجرة إلى فلسطين): "إنّ دوائر القوميّين اليهود سعداء جدا بالسّياسة الألمانية الرّاديكالية، لأنّها ساعدت على إيجاد تفوّق عدديّ على العرب". أي أنّ السّياسة النّازية مع اليهود أسعدت الصّهاينة لأنّها دفعت بهم إلى الهجرة إلى فلسطين فانقلب الميزان الدّيمغرافي لصالح الحركة الصّهيونية. والجدير بالذّكر أنّ اليهود الألمان بعد قدومهم إلى فلسطين حاولوا الذّهاب إلى مكان آخر، إلّا أنّ الوكالة اليهودية جمعتهم في مستوطنات جماعية بعد تجريدهم من أموالهم التي غذّت كما قلنا المشروع الاستيطاني.

وفي عام 1943 أثناء الحرب العالمية الثّانية عندما روّجت الحركة الصهيونية لعمليات الاضطهاد التي يتعرّض لها اليهود في غيتوات بولندا، لم يكن الإنقاذ وقتها هو هدفهم ولم يكن ضمن أولويات وعقيدة "دافيد بن غوريون"، بل تمثّلت جلّ أولويّاته في إنشاء الدّولة المزعومة. وقد قالها عضو منظمة الهاجاناه - التي كان بن غوريون يترأسها- "اليعازر لڤنه" الذي أصبح فيما بعد سياسيا في دولة الاحتلال: "لم يكن إنقاذ اليهود هدفا في حدّ ذاته بل وسيلة". كما شدّد صهاينة آخرون على أنّ دعوات الإنقاذ كانت تشكّل خطرا على الصّهيونية. ومن هنا يتّضح لنا أنّ المشروع الاستيطاني في فلسطين كان أهمّ من إنقاذ يهود أوروبا المضطهدين على حدّ قولهم والمهدّدين بالإبادة.

واليوم "بنيامين نتنياهو" في حربه على غزّة 2023-2024 يضحّي بالأسرى اليهود بهدف كسب معركة وهمية وتحقيق أهداف لم يحقّق منها غير السّير بشعبه إلى حافة الزّوال. فها هي الصّحف العبرية تتّهمه بأنّه غير مبال بمصير الرّهائن الذين تحتجزهم حركة حماس في غزّة ويقوض الجهود المبذولة للتوصّل إلى اتّفاق مع الحركة.

غير أنّ نتنياهو صرّح بقوله: "منذ ديسمبر، وبالتّأكيد منذ يناير، أصبح واضحا للجميع أنّنا لا نتفاوض". حيث يهدّد بدخول رفح للقضاء على المقاومة الفلسطينية مع أنّه يعلم بأنّ جيشه الذي فشل في شمال القطاع ووسطه لن يحقّق شيئا في جنوبه غير الخسران. فمن بن غوريون إلى نتنياهو الهدف هو الأرض والتّوسّع، أمّا الشّعب فهو على رفوف الإهمال.

اللّواء اليهودي "هاحايل"

كان الهدف الظّاهري من إنشاء اللّواء اليهودي "هاحايل" عام 1944 أثناء الحرب العالمية الثّانية التي كانت تدور رحاها بين الحلفاء والمحور، هو القتال إلى جانب الحلفاء. غير أنّ هدفا باطنيا كان هو الأساس لإنشائه، وهو الخروج بجيش صهيوني مدرَّب يتمّ إرساله إلى فلسطين فيما بعد من أجل تحقيق الأهداف السّياسية بالقوّة التي سيتمتّع بها هذا الجيش. بالإضافة إلى أنّ إنشاءه سيعمل على عرقلة تنفيذ مواد الكتاب الأبيض الصّادر عام 1939 للحدّ من الهجرة اليهودية إلى فلسطين، لأنّ بن غوريون كان يدرك أنّ لا نجاح سيتمّ لبناء الدّولة من غير بناء المستوطنات التي تحتاج إلى مستوطنين. وهذا لن يتمّ دون استمرار للهجرة، والسّبب هو قلب الميزان الدّيمغرافي لتحقيق أغلبيّة يهودية تقوم عليها أركان الدّولة.

وقد تطوّع بالفعل في خريف 1944 حوالي 27 ألف شاب يهودي للخدمة ضمن مسرح إيطاليا في القوّات البريطانية. ولم يتشكّل هذا اللّواء إلّا بعد ضغط من الولايات المتّحدة الأمريكية على بريطانيا، ذلك لأنّ حكومة "تشمبرلين" رفضت اقتراح الوكالة اليهودية الذي كانت قد تقدّمت به وتعرض من خلاله تطوّع شبّان يهود للقتال إلى جانبها. وبحجة أنّ فلسطين كمنطقة انتداب ليست في حالة حرب، فبريطانيا ليست بحاجة إلى جيش. هذا ما تحجّجت به حكومة بريطانيا، غير أنّ السّبب الحقيقي هو خوفها من عدم تأييد العرب لها وهم يشكّلون المورد الرّئيسي لنفطها.

إلّا أنّ تشرشل ضغط على بريطانيا فوافقت على إنشاء هذا اللّواء، وقد ورد حينها خبر في صحيفة نيويورك تايمز ينتقد سياسيّي الولايات المتّحدة الذين

ضغطوا على بريطانيا لقبول تأسيس هذا اللّواء بقولها: "إنّ اللّواء ليس سوى حيلة لإعلان الدولة".

وبهذا تكون الحركة الصّهيونية قد استغلّت اندلاع الحرب العالمية الثّانية من أجل تأسيس جيش يهودي يكون فيما بعد بمثابة جيش مدرّب بعد انتهاء الحرب ومستعدّ كما ذكرنا لخوض حرب حقيقية في فلسطين للتّخلّص من سكّانها الشّرعيين، فكان هذا اللّواء من أكثر النّجاحات التي حقّقها بن غوريون. فأصبح اللّواء جيشا لا يهزم من وجهة نظر الصّهاينة وخاصّة بعد حرب 67. وقد انتفخ هذا الجيش وظلّ ينتفخ إلى أن أصبح أكبر بالون من الشّوفيينية والعنجهية. حتّى جاء 07 أكتوبر فانفجر وغاصت شوفينيته في وحل غزّة، واليوم لا يعرف كيف يخرج منها. لذلك نراه يعوّض خساراته وفشله بارتكاب الإبادة.

ما الذي فعلته غزّة؟

كنت قد تناولت في مقال سابق بعنوان "الشّعب آخر همّهم" تعاون الحركة الصّهيونية مع النّازية من أجل دفع اليهود للهجرة إلى فلسطين بهدف قلب الميزان الدّيمغرافي لصالح قيام دولة صهيونية. وقد استعرضت في ذلك المقال بعض من أكّدوا أنّ إنقاذ اليهود من الاضطهاد الذي كانوا يتعرّضون له في أوروبا لم يكن سوى وسيلة تكمن في إيجاد تفوّق عددي على أصحاب الأرض الشّرعيين، أي أنّ أولئك الذين في الشّتات هم آخر همّ الحركة الصّهيونية.

وعن الحديث حول خيارات دخول رفح وتعريض حياة الرّهائن للخطر أو التّوصّل إلى اتّفاق لوقف إطلاق النّار، نقرأ تصريحات وزيرة المستوطنات والمشاريع الوطنية "أوريت ستروك" اليمينية المتطرّفة بشأن الرّهائن لدى حركة حماس، ورفضها لصفقة الرّهائن ووصفها لها "بالسّيئة"، وأنّ "هناك جنود تركوا كلّ شيء وراءهم وخرجوا للقتال من أجل أهداف حدّدتها الحكومة، ونحن نقوم بإلقاء ذلك في سلّة المهملات لإنقاذ 22 شخصا أو 33 أو لا أعرف كم عددهم. مثل هذه الحكومة ليس لها الحقّ في الوجود".

ولا تختلف تصريحات "ستروك" عن تصريحات وزير المالية "بتسئيل سموتريتش" الذي قال إنّه بالرّغم من أنّ قلبه يتمزّق بسبب معاناة الرّهائن لدى حماس على حدّ قوله، إلّا أنّ "عقله يفكّر في الوقت نفسه بمستقبل تسعة ملايين مواطن إسرائيلي"، ثمّ يقول: "لقد وصلنا إلى مفترق طرق حيث يتعيّن على دولة إسرائيل الاختيار بين النّصر الحاسم أو الهزيمة في الحرب والإذلال".

أمّا "إيتمار بن غفير" فقد هدّد بنيامين نتنياهو بقوله: "إمّا صفقة أو حكومة".

وقد صرّح نتنياهو بأنّه لن يقبل بأيّة صفقة تنهي الحرب، وأنّ قرار دخول رفح أمر محسوم. والسّؤال المطروح أمام هذا التّصريح وذلك الضّغط هو، لماذا أقدم الجيش حسب صحيفة "يديعوت أحرونوت" على تسريح بعض قوّات الاحتياط التي كان من المقرّر مشاركتها في عملية دخول رفح؟

لكن من الظّاهر أنّ نتنياهو يجبن عن دخول رفح لأنّها المستنقع الأخير الذي هو متيقّن من الغرق بوحله لو دخلها، لذلك هو يناور من زاويته الضّعيفة ما بين الرّفض بسبب الضّغط الذي يتعرّض له من أعضاء حزبه وغيرهم، أو القبول الذي سيؤدّي إلى وقف إطلاق النّار وبالتّالي تحديد مصيره السّياسي المنتظر.

ومن هنا يتّضح لنا أنّ قادة هذه الدّولة وسياسيها من قبل قيامها وبعد قيامها وإلى اليوم، كانت الأرض والمكاسب السّياسية هي أهدافهم الحقيقية. فمن الذي كشف زيفهم وأماط اللّثام عن أطماعهم؟ ومن الذي أزال الحجاب وأسقط الأقنعة؟ وما الذي فعلته غزّة؟

إعلام مضلّل

يتأثّر النّهج الإعلامي بالسّياسة الرّسمية في دولة الاحتلال. ويتوضّح انحياز هذا الإعلام علانية إلى المؤسّستين العسكرية والسّياسية بالذّات في حالات الحرب، حيث يحاول تعميم ملامح شخصية الآخر (الفلسطيني) بشكل يخدم سياسية هاتين المؤسّستين في دولة الاحتلال.

ومن المعروف أيضا أنّ الجمهور في هذه الدّولة يتغذّى من الإعلام والصّحف، ما يصنع أزمة ثقة بالفلسطيني. فكيف وإن كان هذا الفلسطيني هو حركة حماس؟ فبعد وسمها بالإرهاب، نجدها اليوم تتّهمها باللّص الذي يسرق قوت شعبه، حين روّج هذا الإعلام في الأيام الأخيرة بأنّ حماس استولت على أوّل شحنة مساعدات دخلت غزّة عبر معبر "إيريز" الذي أعيد فتحه.

وقد اتّهم "ماثيو ميلر" المتحدّث باسم وزارة الخارجية الأمريكية حماس زورا وبهتانا بأنّها اعترضت المساعدات بعد تفريقها من قبل الجيش الأردني، وقبل وصولها إلى مسؤولي المساعدات الإنسانية نهاية نيسان، لتوزيعها داخل القطاع. كما اتّهمها بتحويل تلك المساعدات لاستخدامها الخاصّ.

غير أنّ الحقيقة لا بدّ أن تنجلي، فها هو "بلينكن" يدين الاستهداف غير المقبول لقافلة المساعدات الأردنية من قبل محتجّين "إسرائيليّين" يحاولون منع دخولها إلى غزّة، بعد أن أظهرت مقاطع فيديو تداولتها وسائل التّواصل الاجتماعي قطعان المستوطنين وهم يلقون أكياس الطّحين على الأرض. كما أعلنت وزارة الخارجية الأردنية أنّ قافلة المساعدات التي تقدّمها المملكة، تعرّضت للهجوم من قِبل "مستوطنين إسرائيليين" خلال توجّهها إلى معبر "إيريز". وهي ليست المرّة الأولى على اعتراض المستوطنين مساعدات متوجّهة إلى غزّة، فمعبر كرم أبو سالم يشهد

على مثل هذه الحادثة. كما قامت منظّمة "تساق 9" اليمينية المتطرّفة بتنظيم مظاهرة عند معبر اللنبي لمنع مرور قافلة المساعدات إلى غزّة.

وهي أيضا ليست المرّة الأولى التي يتّهم الإعلام العبري حماس بسرقة المساعدات، فقد ادّعت في بداية الحرب على غزّة أنّ مسلّحين من حركة حماس سرقوا شاحنات تحمل مساعدات إنسانية قادمة من مصر. غير أنّ دبلوماسي أمريكي كان من ضمن من شاركوا آنذاك بتوصيل المساعدات، نفى تلك المزاعم قائلا إنّه لم يقدّم أيّ مسؤول "إسرائيلي" له أو لإدارة بايدن أدلّة محدّدة على تحويل أو سرقة المساعدات. وهنا يحضرني بيت من الشعر للشاعر أبو الطيب المتنبي:

وإذا أتتك مذمّتي من ناقص فهي الشّهادة لي بأنّي كامل

الحرب على غزّة: الحمار الحرون

منذ بداية الحرب على غزّة بعد عملية طوفان الأقصى 07 أكتوبر 2023 وإلى اليوم، وقد قاربت الحرب على شهرها الثّامن، ما يزال نتنياهو يكذب على شعبه بشأن تحقيق أمرين، القضاء على حماس من جهة، واستعادة الأسرى لدى حماس من جهة أخرى. وهنا، ولتحقيق مزاعمه، بدأ بشمال القطاع، فارتكب ما ارتكبه من عمليات إبادة جماعية شملت البشر والحجر والحيوان وحتّى الكتب قام بإبادتها، بدعم من الولايات المتّحدة الأمريكية وغيرها من الدّول العظمى وتواطؤ من أغلب الأنظمة العربية. لكنّه أثبت فشله من خلال عدم تحقيق أيّ هدف له هناك.

وبعد إراقة ماء وجهه في الشّمال، ذهب بآلته المتوحّشة والهمجية نحو وسط القطاع. غير أنّ نفس الفشل تكرّر هناك، فلم يحرز سوى المزيد من المجازر والإبادة، والخسارات على جميع المستويات سواء العسكرية أو السّياسية أو الاقتصادية. وسحب جيشه المأزوم دون تحقيق أيّ من أهدافه. ظنًّا منه أنّه سيحفظ القطرات المتبقّية -إن تبقّى شيء منها- من ماء وجهه، تقدّم بجيشه الآيل للسّقوط نحو خان يونس، وقد تعهّد قبل اجتياحها بتحقيق نفس الوعود السّابقة، من استعادة الأسرى واغتيال السّنوار والقضاء على حركة حماس، غير أنّه لم يجد السّنوار فقبض على حذاء ادّعى جنوده بأنّه يعود للبطل. وهنا كان الحذاء صفعة قويّة أزالت ما تبقّى من كرامة له. وتعويضا عن فشله وكما هي عادته، ارتكب جيشه المزيد والمزيد من المجازر بحقّ الأبرياء.

واليوم نراه يقف كالحمار الحرون أمام الحفرة ويحرن عن عبورها. رفح هي الحفرة التي يقف نتنياهو عند حافتها ويجبن عن عبورها، وهي آخر أوراقه التي سيحدّد مصيرها مستقبله السّياسي وانهيار حكومته وسحب حزبه اليميني معه

نحو الهاوية. نتنياهو اليوم يكذب على شعبه مستغلًّا الإعلام الزّائف، أمّا جيشه الخاسر فيطالب بإتمام الصّفقة التي ستبعده عن نار المقاومة الفلسطينية وشراستها. الصّفقة التي ستنقذ ما تبقّى منه، لأنّ هذا الجيش يعلم أنّ رفح لن تختلف عن بقية مناطق القطاع التي اجتاحته طائراته وصواريخه وغرقت في دماء الشّهداء. نتنياهو أيضا يعلم أنّ ادّعاءاته ستنكشف مع تنفيذ اجتياح رفح، وأنّ جيشه سيفشل أمام المقاومة. لذلك هو اليوم يعيش مأزقا حقيقيا صنعه بنفسه.

نتنياهو اليوم يقف أمام الحفرة كالحمار الحرون، لا يعلم هل يعبرها أم يرفض هذا العبور؟ هل سيتحرك هذا الحرون جراء ضربات السّوط التي يتلقّاها من أعضاء حزبه اليميني المتطرف؟ هل يتجاهل تهديدات مثل تهديد وزير المالية "بتسلئيل سموتريتش"؟ حيث قال له الأخير مهدّدا: "إذا ألغيت اجتياح رفح فلن تكون لحكومتك صلاحية للاستمرار"، ما دام سموتريتش يرى أنّ الموافقة على الصّفقة ما هي إلّا صفعة، فقد اعتبرها بمثابة "استسلام مهين يمنح النّصر للنّازيين على ظهر مئات من جنود الجيش الذين قتلوا في المعارك"، ويقصد بالنّازيين حماس. أم أنّ نتنياهو سيرفض عبور الحفرة لأنّه متأكّد أنّها الورقة الأخيرة التي إن سقطت سقط معها؟

عدّاء المسافات ... البروفيسور "عدنان البرش"

من المؤكّد أنّه لم يهرع لاستقبال سيارة الإسعاف كما هي عادته وقت السّلم، لا لأنّ التّعب أكل منه جراء الوقوف لإخاطة جرح أو تجبير عظم، إنّما السّبب كان غير ذلك، فالمستشفى يغصّ بالمصابين والجرحى. الحالة حالة عدوان، وأيّ عدوان! إنه الأشرس، عدوان الانتقام والتّشفّي والتّعويض عن الخسارات، عدوان الجبن والتّعطّش لدماء الشّهداء.

يمسك المبضع بيد، وباليد الأخرى يحاول إيقاف الزّمن لمصاب يحتضر، وآخر يئنّ. يحاول الفوز على دقائقه، بل على ثوانيه، إنّه الماراثون الأصعب حيث النّهاية تختلف عن النّهايات الأخرى. إنّها نهاية الموت والحياة، لا نهاية الفوز أو الخسارة بفارق طول الخطوات وتسارعها. فكيف والجريح ليس واحدا؟ كيف وفي كلّ دقيقة يدخل بها المسعفون يحملون العشرات على نقّالاتهم، يفرغونها على الأرضيات الباردة لأنّ الأسرّة ازدحمت بآخرين؟ فماذا ستفعل يد الطّبيب حينها؟ بل ما الذي سيفعله عندما يوضع في ذلك الاختبار الصّعب، فيعجز القلب أمام العقل الذي سيختار الحالة المأمول شفاؤها أكثر من تلك التي بدأت الرّوح تنسل منها؟

لقد مرّ الطبيب عدنان البرش بكلّ تلك المشاعر وأكثر. عدنان البرش رئيس قسم العظام في مستشفى الشّفاء من الذين تمّ إجبارهم على مغادرته، وهو نفسه الطّبيب الذي بكى أثناء مكالمة له مع قناة الجزيرة بسبب ذلك الإجبار على ترك المستشفى وفيها المرضى والجرحى، فقال: "أدّينا الرّسالة وأجرنا على الله". وهو نفسه أيضا الذي ظلّ مصرًّا على استكمال عمله كطبيب وتوجّه للعمل في مستشفى الأندونيسي، وبعد دخول جنود الاحتلال حيث أجبروهم على الإخلاء، توجّه إلى مستشفى العودة في بيت لاهيا. وهنا تمّ اعتقاله من قبل عصابات الإرهاب المحتلة

نهاية 2023 حيث تعرّض لتعذيب ممنهج ومقصود، فعلى لسان زميله الطّبيب خالد حمودة الذي كان قد التقى بالبرش في أحد المعتقلات في منطقة النقب وأدلى بشهادته قائلا: "وصل عدنان البرش وكانت تتّضح عليه آثار التّعذيب الشّديد في جميع أنحاء جسده، وعومل بطريقة مهينة خلال نقله إلى مكان آخر. كما كان يعاني من آلام شديدة جراء التّعذيب والضّرب المبرح الذي تعرّض له وساعات التّحقيق الطّويلة". كما جاءت نفس الشّهادة على لسان معتقلين آخرين كانوا قد التقوا به وقالوا إنّه لم يبق من الأطبّاء المعتقلين إلّا عدنان البرش.

وقد توفّي رحمات الله عليه في سجن عوفر بعد أكثر من 4 أشهر من اعتقاله، بحسب "هيئة سجون الأسرى" و"نادي الأسير الفلسطيني".

وتعتبر عملية اغتيال الطّبيب عدنان البرش وغيره ممّن تمّ اعتقالهم أحياء على يد جنود الاحتلال ممارسة عادية ضمن سجلّ طويل من الممارسات الصّهيونية. وتاريخ هذه الدّولة حافل بمئات القضايا المماثلة، فهذه الممارسات لم تبدأ باغتيال الطّبيب البرش ولم تنته بتنفيذ مئات المجازر التي وصلت حدّ الإبادة بحقّ أهلنا في قطاع غزّة من شماله حتّى وسطه فجنوبه.

الحرب على غزّة: القمع أوّلا

تعتبر الرّوح الاستبدادية من الخصائص البارزة للتّمييز العنصري الذي يهدّد السّلام العالمي. والولايات المتّحدة الأمريكية التي تعدّ نفسها "أمّ الحرّيات" كانت قد امتنعت عن إبرام الميثاق الدّولي بشأن إزالة جميع أشكال التّمييز العنصري، وهو الميثاق الذي تمّ عقده عام 1965، أمّا دولة الاحتلال فقد رفضت هذا الميثاق. ولذلك نجد أنّ الولايات المتّحدة وذيلها الصّهيوني المتمثّل بدولة الاحتلال تتحيّزان ضدّ أيّ شعب أو فرد لمجرّد انتمائه العرقي. وهذا يكفي ليأتي تصنيفه بالمتخلّف الدوني، وفي المقابل يكفي أن ينتمي شعب أو فرد ما إلى عرق معيّن ليتمّ تصنيفه بالمتحضّر المتفوّق.

من هنا وجدنا الآباء المؤسّسين للصّهيونية، وهم من الأشكيناز، ينسبون أنفسهم للحضارة الغربية وينظرون إلى حضارتنا الشّرقية على أنّها متخلّفة ومتدنّية، على الرغم أنّهم يحتلّون قلب هذه الحضارة جغرافيا ويسيّجونها بعنصريّتهم. وقد وصلت بهم العنصرية إلى احتقار اليهود السفارديم فقط لأنّهم ينتمون إلى حضارة الشّرق، وقد نسوا قرون الظّلام التي رزحت على قلب الغرب في القرون الوسطى، والتّاريخ خير شاهد، وأنّ الحضارة الغربية التي يتبجّحون بتفوّقها ما قامت إلّا على علومنا نحن العرب. كما نسوا أو تناسوا، وأقصد هؤلاء الأشكيناز، أنّ الأوساط الغربيّة وخاصّة الأوروبية قد طبّقت عليهم سياسية التّمييز العنصري، لذلك كان اليهود منبوذين في تلك الأوساط.

وسواء كان ما ادّعته الصّهيونية من اضطهاد مرّ به يهود أوروبا حقيقيا أو غير ذلك، لا يحقّ لهم اتّخاذ فظائع الماضي مبرّرا لارتكاب فظائع الحاضر. وأقصد ما قامت به الحركة الصّهيونية من ارتكاب الإبادة الجماعية أو من تهجير قسري

وبالتّالي صنع مشكلة اللّاجئين، أو إخضاع الفلسطينيين تحت الحكم العسكري، أو ما قامت به خارج فلسطين من إفقار للشّعوب العربية من خلال تنصيب أنظمة عربية موالية بل ومتواطئة معها. فالنّظام الذي تتّبعه دولة الاحتلال من سياسة التّمييز العنصري لا يمكن اعتباره إلّا نظاما قمعيا بهدف حماية نفسها من تطلّعات الآخر المقموع للمساواة.

وقد اتّبع من طبّع من الأنظمة العربية نفس النّظام من خلال التّسلّح لبناء الأجهزة القمعية على حساب مخصّصات التّعليم والصّحة وغيرها من المخصّصات. لتكون الأسئلة الموجّهة لهذه الأنظمة المطبّعة التي تعمل على تقوية أجهزتها القمعية على حساب شعوبها هي: لمن نتسلّح؟ ومن هو العدوّ الذي نتسلّح له؟ ولا أكبر من دولة الاحتلال عدوّ لنا، فكيف نتسلّح ضدّها وأنتم كأنظمة مطبّعين معها؟

هنا تكمن الإجابة المنطقية في أنّ التّسلح لا يمكن أن يكون إلّا لقمع الشّعب الذي من المحتمل بعدما "يبلغ السّيل الزّبى" أن يثور على هذه الأنظمة. وهنا جاءت عملية 07 أكتوبر 2023 كثورة ناضجة ردًّا على نظام القمع الصّهيوني ضدّ الاحتلال وسرقة فلسطين، وضدّ أشكال العنصرية التي تمارس ضدّ شعبنا الفلسطيني. وبالرّغم من شلالات الدّم في قطاع غزّة بسبب العدوان الهمجي عليه وتدمير جُلّ البنية التّحتية له، إلّا أنّ العملية أذلّت العدوّ ومرّغت أنفه بوحل الهزيمة. وهذا الطّوفان الذي بدأ في القطاع امتدّ إلى دول عربية أخرى، إلّا أنّه وبسبب الأجهزة القمعية التي تضخّمت على مدار عقود، قتلت كلّ بذرة للثورات السّلمية.

ونعود إلى 07 أكتوبر الذي صنع ضغطا واضحا على اقتصاد دولة الاحتلال، ولولا الولايات المتّحدة الأمريكية ودعمها المتواصل لانهار اقتصاد دولة الاحتلال ومؤسّستها العسكرية والاجتماعية. فالولايات المتّحدة بملياراتها التي تجبيها من جيب المواطن الأمريكي هي الشّريان الذي يغذّي شريان الحياة لدولة الاحتلال التي

حافظت على سياستها القمعية من خلال عمليات الإبادة في غزّة ومحاولتها اجتثاث السّكان خارج حدودها.

مفاوضات أفشلتها عنصرية الصّهيونية

كنت قد تناولت في المقال السّابق سياسة العنصرية وعلاقتها بالاستبداد والقمع، وكيف استخدمتها دولة الاحتلال مع الشّعب الفلسطيني. وما ارتكبته ولا زالت خلال عدوانها الغاشم على غزّة من تطبيق لتلك السّياسة القمعية بهدف بقائها المتسيّدة على الأرض والشّعب. فهذه الدّولة المتعنصرة تظنّ أنّ القوّة هي التي تستطيع المحافظة على الامتيازات العنصرية إلى النّهاية، دون أن تدرك أنّ تعلّق سكّان غزّة ومقاومتها بتحقيق الحرّية والخلاص من الاحتلال أقوى من قوّة دولة الاحتلال وتعلّقها بالحياة والاستمرار. لذلك فإنّ أعلام الحرّية سترفرف يوما، ولعلّه قريب فوق رؤوس الصّابرين من أهل فلسطين عامّة وغزّة ومقاومتها خاصّة.

وقد رأينا أنّ الاعتماد على القوّة فقط لا يُعوّل عليه. عندما فشل نتنياهو في تحقيق أهدافه في الحرب سواء كان ذلك بتحرير الرّهائن أو القضاء على حماس في الشّمال والوسط والجنوب. ومنذ أسابيع وهو يهدّد بدخول رفح للقضاء على المقاومة، لكنّه كان يجبن عن تنفيذ هذه الخطوة بسبب أمرين، أحدهما ضغط أعضاء حزبه عليه إلى حدّ التّهديد بخسارة حكومته، أمّا الأمر الآخر فهو الخوف من هزيمة جيشه وعدم قدرتهم على القضاء على المقاومة. كان في كلّ مرّة يُفشل المفاوضات مع وسطاء حركة حماس بهدف إطالة عمر الحرب التي تضمن بقاءه في الحكومة، ويأتي ليخرج بتصريحات تتّهم حماس بعرقلة المفاوضات.

إلّا أنّ حماس قامت مساء 06 مايو بحركة ذكية حين سلّمت شبكة الجزيرة ردّها بالموافقة على المفاوضات بهدف حشر حكومة نتنياهو وإحراجه عالميا، ولتبيّن للعالم من الذي يعرقل المفاوضات. لكن ظهر نتنياهو على حقيقته حين رفض المفاوضات وأفشلها، واجتاح رفح ببشاعة لا تقلّ عن بشاعة دخوله بقية

مناطق القطاع، وهو الذي وعد بأنّ عملية رفح ستكون محدودة. وهذا ليس بغريب عليه، فقد دخلها بقوّة الطّائرات وفاشيتها، قوّة التّدمير والقتل وارتكاب المجازر.

وقد أثبت نتنياهو عنصريّته وعنصرية دولته، وأنّ لا مفاوضات مع هذه العنصرية. أرادتها مفاوضات مُذلّة على طريقتها المتعنصرة وكما اعتادت قبل 07 أكتوبر، وانتظرت من الحركة قبولها والموافقة عليها، فكيف تطلب ممّن اقتلعتهم واقتلعت آباءهم وأجدادهم، وسرقت الأرض والثمر والتعب منهم باسم النّظام العنصري؟

وهنا من المؤكّد أنّ حركة حماس تراعي كلّ ذلك ولم تنس ماضي المفاوضات التي كانت ضدّ الفلسطينيّين منذ 48 من تهديم للقرى وبناء المستوطنات مكانها، وارتكاب المجازر والتّهجير القسري لإحداث التّغيير الدّيمغرافي الذي ضمن قيام الدّولة، والتّغيير الثّقافي الذي طال المدينة المقدّسة "القدس" ونيّة هذه الدولة بهدم مسجدها وقبّتها وإقامة هيكلها الثّالث المزعوم، وما حدث من هضم لحقوق أصحاب الأرض الشّرعيين ومنعهم من تقرير مصيرهم. لذلك فإنّه من المؤكّد أن نجد الشّعب الفلسطيني يستميت لينهي الاحتلال ويستعيد الأرض ويسترد الحقوق المنهوبة على مدار 76 عاما.

وبعد كلّ ما فعلت هذه الدّولة وارتكبت، نجد نتنياهو لا يتورّع من نعت حماس وجناحها العسكري الذي يقاتل دفاعا عن الأرض والعرض بـ"النّازيين الجدد". أمّا جيشه المأزوم الذي ارتكب ما ارتكب فهو المدافع عن أمن الوطن. فأيّ وطن وهو الوطن المسروق من أصحابه؟ ومن هو النّازي العنصري الحقيقي؟ واليوم لن تنجح أيّة مفاوضات لأنّها على طرفي نقيض، فالنّجاح والفشل على طرفي نقيض سببه عنصرية دولة الاحتلال.

الفشل في غزّة ... أصبع الاتّهام إلى من يشير؟

حينما عجز جيش الاحتلال بعد قيام الانتفاضة الأولى عام 1987 عن قمع الشّعب المنتفض بسلاحه الأبيض، وجد نفسه في ضائقة لم يعرف لها مثيلا في الماضي، حيث لم تحدث له مثل هذه الضّائقة في حروبه التي خاضها منذ الإعلان عن قيام الدّولة الصّهيونية. فندّد السّياسيون وقتها وكان من بينهم وزراء حكومة بهذا الجيش، واتّهموه بقصر اليد والضّعف ونقص الحنكة لدى قادته. وقد كان الوزير "إسحاق موداعي" من أشدّ المهاجمين عنفا حيث قال: "إذا كان الجيش غير قادر على تنفيذ قرار القضاء على الانتفاضة، فليقل ذلك صراحة على لسان قادته". كما أنّ صحيفة المستوطنين وقتها لم تتردّد في اتّهام الجيش بأنّه يخدع الحكومة ويحمّلها مسؤولية الجمود في محاربة الانتفاضة.

أمّا اليوم في حربه على غزّة، فيحدث العكس من جهة من يتحمّل مسؤولية إخفاق الجيش هناك، فجيش العدوّ منذ بداية حربه على غزّة وهو يحرز الفشل تلو الآخر. فقد فشل في شمال القطاع ووسطه وجنوبه، ولم ينجح في تحقيق أهداف حكومة نتنياهو. خسائره كانت كبيرة في الضّباط والجنود والآليات العسكرية، ومشاكل الانضباط لدى الجنود تسبّبت أيضا في طرد المتسبّب بها، ما أدّى إلى زيادة النّقص في عدد الجيش. وهذا أدّى إلى بروز الأزمات الخطيرة التي أعطت مؤشّرا على فشل عميق له في هذه الحرب، خاصّة حرب الميدان التي يخوضها بهدف تدمير أنفاق المقاومة الفلسطينية وبالتّالي القضاء على حماس.

وجاء الفشل في الميدان بسبب المفاجآت التّكتيكية من قبل أفراد المقاومة، ومن الأزمات الخطيرة أيضا على غرار الاستقالات الجماعية التي شملت عددا كبيرا من الضّباط والمسؤولين، ورفض الخدمة من قبل كتائب الاحتياط

وانتشار الفوضى فيها. واليوم المتّهم الأوّل والمسؤول عن فشل الجيش الذي يوجّه له نسبة من المجتمع اليهودي وقيادة الجيش أصبع الاتّهام هو بنيامين نتنياهو وحكومته اليمينية المتطرّفة، والتي اتّهمت غير مرّة أنّها من يدير الحرب على غزّة.

وقد تحدّثت بعض القنوات العبرية عن وقوع مواجهات حادّة بين رئيس الأركان "هاليفي" ووزراء في حكومة نتنياهو، انتقدوا فشل الجيش في تحقيق أهداف الحرب في غزّة. أمّا بالنّسبة لدخول رفح، فقد كان "هاليفي" قد أكّد على ضرورة تأمين الظّروف، غير أنّ نتنياهو ومن خلفه حزبه أصرّ على دخولها، ما يعني أنّه يدير الحرب دون تفكير وبهستيريا الهزيمة والتّعويض عنها وفرض ما يريده. فتعرّضت حكومته كما قلنا لحملة واسعة من الانتقادات من قبل الأوساط داخل دولة الاحتلال جراء فشله في الحرب، ما سيؤدّي إلى إنهاء مستقبله السّياسي في اليوم التّالي للحرب. لذلك فهو لا يزال يضحّي بالمزيد من عناصر جيشه من أجل إطالة عمر الحرب وعمر حكومته.

الحرب على غزّة: على لسان قياداتهم

منذ السّابع من أكتوبر 2023 لم تستقرّ الأوضاع لحكومة بنيامين نتنياهو وجيشه، بالإضافة إلى الاستنفار العامّ وتعطّل الحياة في مستوطنات الغلاف، ناهيك عن الأزمات الخطيرة من انهيارات على سبيل المثال في المؤسّسة العسكرية وخاصّة مؤسّسة الجيش، الذي تعوّل عليه الدّولة في الحفاظ على أمنها. نالت فصائل المقاومة الفلسطينية على رأسها كتائب القسّام من جيش الاحتلال جنودا وضبّاطا، قتلًا وجرحًا وترويعًا، لدرجة أنّ بعض القادة والضّباط أدلوا بتصريحات يعترفون من خلالها بقوّة المقاومة وصعوبة اجتثاثها أو القضاء عليها، سواء على المستوى الاستخباراتي أو التّكتيك في الميدان أو على مستوى الأسلحة التي تمتلكها.

اعترفت صحيفة "يديعوت أحرونوت" العبرية بتاريخ 25 نوفمبر2023 في خبر نشرته بالقدرات الاستخباراتية لدى المقاومة الفلسطينية، والتي راكمتها منذ ما قبل 07 أكتوبر، من خلال ما كشفه لها محلّل الشّؤون العسكرية "يوسي يهوشع" من امتلاك كتائب القسّام وثائق تتضمّن أسرارا عسكرية خطيرة وخاصّة عن لواء المظلّيّين. أمّا على مستوى الأسلحة، فقد قالت صحيفة "وول ستريت جورنال" أنّ هناك تقديرات استخباراتية أمريكية ورد فيها أنّ "حماس لا تزال تمتلك ذخائر تكفي لضرب "إسرائيل" عدّة أشهر". كما كشف خبراء ومسؤولون عن صدمة جيش الاحتلال والمخابرات من الموساد والشاباك عن قوّة وقدرات المقاومة الفلسطينية.

وتعود هذه القوّة إلى الثّقة العالية بالله التي تعطي الثّقة بالنّفس، وإتقان الهجوم والانسحاب المنظّم، وإجادة التّمويه والتّفاعل مع الواقع من خلال

الاستفادة من أيّة إمكانيات محلّية متاحة أمامهم، بالرّغم من الحصار الذي تفرضه دولة الاحتلال منذ 17 عاما. فصواريخ الياسين والعياش وغيرها من الصّواريخ التي أرعبت العدوّ في مستوطنات الغلاف وحتّى "تل أبيب"، هي محلّية الصّنع وتعتبر ابتكارًا عبقريًّا. كذلك القنابل اليدوية والموادّ المتفجّرة التي فعلت العجائب بدبّابات العدوّ، وألحقت الخسائر الفادحة بجيش الاحتلال على مستوى العناصر من جنود وضبّاط وآليات. مقابل الآلة الحديثة التي تمتلكها دولة الاحتلال وتقوم بتصنيعها في أحدث مصانعها، وما يصلها بمليارات الدّولارات من الولايات المتّحدة الأمريكية وألمانيا وغيرها من الدّول الدّاعمة. غير أنّ ما تتمتع به المقاومة الفلسطينية من الجراءة في مواجهة العدوّ وما تمتاز به عمليّاتها من نوعية وتكتيك عالٍ خاصّة عنصر المفاجأة، جعلتها تنتصر اليوم على جيش العدوّ المهزوم ميدانيا والمنتصر فقط بارتكاب الإبادة الجماعية من خلال طائرته الجبانة.

لذلك لم يقاوم الكثير من القادة والسّياسيين في دولة الاحتلال إغراء الاعتراف بقدرات هذه المقاومة الباسلة التي زعزعت وفكّكت جيش الأسطورة الكاذبة "الجيش الذي لا يقهر" فكشفت ضعفه وأسقطت تلك الأسطورة حين أثبتت أنّه يقهر.

الحرب على غزّة: الزنّة كمثال

قامت المقاومة الفلسطينية أثناء الحرب على غزّة بعدد من العمليات النّوعية والجريئة على مستوى الميدان، ومن هذه العمليات الكمائن وما فيها من عنصر مفاجأة في توجيه الضّربة لجيش الاحتلال، وما تحتاج إليه هذه العملية أيضا من عامل رصد ومراقبة، فقد تستغرق عملية الرّصد والمراقبة وقتا طويلا إلى أن تأتي اللّحظة الحاسمة لتنفيذ العملية.

وكمثال بارز وناجح، كمين الزنّة أو كمين الأبرار، في منطقة الزنّة شرق خان يونس بتاريخ 06 أبريل 2024 من تنفيذ كتائب القسّام. حيث جرى استهداف جنود ودبّابات تابعة لجيش الاحتلال من المسافة صفر. ما أسفر عن وقوع قتلى ومصابين وتفجير آليات. كما أنّه وفور وصول قوات الإنقاذ إلى المكان وتحديدا وسط حقل ألغام كان قد أعدّ مسبقا، حتّى استُهدفت بتفجير 3 عبوات مضادّة للأفراد.

ويُذكر أنّ الإعداد لهذا الكمين استغرق 50 يوما في نفس المنطقة، وفق معلومات استخباراتية ورصد مكثّف لمسار عودة جنود الاحتلال وآليات الجيش. وقد وافق هذا الكمين ليلة 27 رمضان أي ليلة القدر. فأحيتها كتائب القسّام على طريقتها الخاصّة في احتفال يليق بهذه المناسبة المباركة. كشفت هذه العملية الثّغرات الأمنية في التّركيبة العسكرية لجيش الاحتلال واهتزاز مكانته وارتباك جنوده.

ومن عملياتها النّوعية التي اتّبعتها أيضا خلال هذه الحرب، الهجمات الخاطفة. يضمّ هذا النّوع، الهجوم السّريع أو الخاطف على الآليات كالدبّابات وإلصاق العبوة المفجّرة من مسافة صفر والانسحاب السّريع بعد ذلك. وما أكثر

هذا النّوع من الهجمات والذي شاهدناه مرارا وتكرارا خلال الحرب، وما أكثر الدبّابات التي تمّ تدميرها خاصّة من نوع الميركافا التي ادّعت دولة الاحتلال حصانتها ضدّ أنواع المتفجّرات. أبرز ما يميز هذا النّوع من العمليات أنّها تترك العدوّ في حالة استنفار مستمرّة.

ومن عملياتها أيضا، خطف الجنود. وكانت أبرز عمليات الأسر ما وقع بتاريخ 07 أكتوبر حين نفّذت المقاومة الفلسطينية عملية طوفان الأقصى على مستوطنات الغلاف، حيث تمكّنت من أسر عشرات الجنود خلال العملية. من الآثار التي تخلّفها مثل هذه العمليات، الرّعب الذي يصيب العسكريّين والمستوطنين. وألّا أمن ولا استقرار لكليهما طالما هنالك مقاومة.

كما كانت عملية تصفية العملاء من ضمن العمليات البارزة في هذه الحرب. إذ جاءت مثل هذه العمليات لصدّ خطر العميل الذي يرتبط بجهاز المخابرات التّابع لدولة الاحتلال "الشاباك"، حيث تعتبر قضية العملاء من أخطر القضايا في غزّة والضفة الغربية. ويحصل أن يسقط هذا الجهاز العميل عن طريق عدد من المغريات، مثل الحاجة والجنس والمخدّرات وغيرها من الطّرق الدّنيئة، ثمّ تكليفه -أي العميل- بمراقبة منازل قيادة المقاومة مثلا، وبعض من الأراضي الزّراعية القريبة من منطقته والإبلاغ عن أيّ تحرّك لأفراد المقاومة داخلها. ومن الأمثلة على هذه العملية ما حصل بتاريخ 09 مايو 2024 حيث قامت كتائب القسّام بإعدام جواسيس لصالح الصّهاينة.

النّصر للمقاومة والعار والخذلان للعدوّ.

الحرب على غزّة: الجهاد هو الحلّ

لقد اتّضح من خلال موقف بنيامين نتنياهو من المفاوضات الأخيرة بشأن وقف إطلاق النّار في غزّة أنّه لن تكون هناك حلول عبر المفاوضات مع هذا العدوّ. وقد رأينا هذا فيما دار في الماضي من مفاوضات، حيث أنّ بنيامين نتنياهو سعى إلى ما يسمّى تسوية سياسية يقدّمها للفلسطينيين، مقابل حصول دولته على مصالحة. ما يعني اعترافا وتسامحا من الطّرف الفلسطيني مقابل تسوية للصّراع وعدم تسامح واعتراف من طرفه، أي نتنياهو.

ومن معالم هذه التّسوية التي يريدها نتنياهو الاعتراف بدولة فلسطينية منزوعة السّلاح، بالإضافة إلى ضمّ الكتل الاستيطانية وعدم العودة إلى خطوط الرّابع من حزيران 67، والأخطر القدس عاصمة لدولتهم خاصّة البلدة القديمة. أمّا المصالحة من طرف الفلسطينيّين فتشمل الاعتراف بدولة يهودية وأنّ الفلسطينيّين هم من صنعوا مشكلة اللّاجئين عندما رفضوا قرار التّقسيم 47، والاعتراف بما يسمّى بالحقوق التّاريخية والدّينية لليهود في فلسطين.

من هنا نستنتج أنّ السّلام الذي يحلم به المطبّعون مع دولة الاحتلال والاستسلام للاستغلال الأميركي ليس أكثر من مجرّد وهم عشّش في عقولهم، واحتفاظهم بالكراسي وظنّهم بأنّ شعوبهم سيطول تكميمها هو رهان خاسر. وهذا الرّهان لن يستمر طويلا، فاللّعبة انكشفت منذ زمن والشّعوب المكمّمة التي ترزح تحت ضربات السّوط قد تمرّدت، وسيأتي الوقت الذي ستكون هي من يرفع هذا السّوط.

لكن ما الذي أيقظها وجعلها تتمرّد وتفكّر بتبديل الأدوار بالإمساك بالسّوط؟ إنّها عملية طوفان الأقصى يوم 07 أكتوبر، العملية التي بدأت بتصحيح

الأوضاع وترتيب الأوراق وتصويب الكلمات، فلا للتّسوية والمصالحة وأهلا وسهلا بجهاد يعيد الأرض ويطهّرها من نجس الأعداء.

طوفان الأقصى، انتفاضة عارمة ضدّ الظّلم الأمريكي وذيله الصّهيوني، انتفاضة ضدّ الحصار وسياسة الإفقار والتّجويع ونهب الثّروات، والأهمّ حماية الأقصى مسرى الرّسول صلّى الله عليه وسلّم من الهدم. الشّعوب اليوم وبعد الطّوفان جميعها تنتفض وستظلّ إلى يوم التّحرير، اليوم لا حلول سياسية غير الجهاد. ونحن اليوم وبعد 07 أكتوبر في مواجهة لحظة تاريخية نحتاج فيها إلى مراجعة شاملة ومحاسبة للنّفس وقراءة جديدة للتّاريخ، ذلك لأنّنا على أبواب مرحلة جديدة من الكفاح واستكمال لما بدأه الشّهيد عزّ الدّين القسّام.

الحرب على غزّة: صدقت زرقاء وخاب ظنّ قومها

لن تسقط دولة الاحتلال، دولة الظّلم الدّخيلة الشّاذة التي غُرست في قلب شرقنا، سوى بإسقاط أولئك المتصهينين الذين يعتلون الأكتاف، واستبدالهم بآخرين يأتون بإرادة الشّعوب؛ بالتّالي بناء أنظمة ديمقراطية تستطيع تلك الشّعوب من خلالها لا أن تخرج في تظاهرات تدعم فلسطين فحسب، بل تكسير تلك الحدود التي رسمها الأغراب وشوّهوا صورة الوطن الواحد، والنّفير نحو فلسطين والاشتباك مع العدوّ بالسّلاح، فعدوّنا لا يفهم غير السّلاح لغة.

ولو عدنا إلى بدايات تأسيس دولتهم المزعومة لوجدنا أنّهم استولوا على فلسطين بقوّة السّلاح والإرهاب، وما أُخذ بالقوّة لا يستردّ إلّا بالقوّة. واليوم في فلسطين عامّة وغزّة خاصّة، نراها قد تجبّرت ولا زالت، بمساعدة تلك الأنظمة الخبيثة التي ليتها صمتت فقط. إنّها اليوم تقف جنبا إلى جنب تشارك في قتل أهلنا في غزّة بمئات المجازر دون خجل أو خوف، وإلّا ما الذي يدفع بنيامين نتنياهو وعصابته قبل أيام دخول رفح غير رضى ومساعدة عربانا بل مستعربينا؟ نعم هم والله باتوا المستعربون، هم الصّهاينة بقناع العرب. باعوا الأوطان بأرضها وسمائها.

نحن اليوم لا نعيش السّلام الذي توهّموه بل هو الاستسلام بعينه، الاستسلام المُذلّ الذي قهر الشّعوب. لذا يتحتّم اليوم كسر القهر والانتفاض وإزالة الطّواغيت الذين يستعبدون ويقيّدون حرية شعوبهم وإراداتهم، لأنّ الجرح اليوم كبير وعميق وشلّالات الدّم غزيرة.

اليوم هو يوم الكفاح المسلّح ولا غير. في الحقيقة كان الكفاح لازما منذ عقود، وتحديدا منذ بناء أوّل مستوطنات اليهود في فلسطين. اليوم تحتّم قتال العدوّ في عقر دارنا. نعم هي دارنا، أمّا هم فلا يمتلكون شروى نقير. العدوّ اليوم

تنمرد وتفرعن لأنّه لم يجد من يصدّه أو يحجمه. اليوم يوم الكفاح واسترداد الحقوق ورفع الظّلم عن المظلومين. اليوم لزم تحرير فلسطين وغزّة من بنيامين نتنياهو وعصابته المتطرّفة. ولتعلموا أنّ دورنا اقترب وهو التّالي على قائمة نتنياهو، فلا تكونوا كقوم زرقاء اليمامة التي حذّرت قومها من العدوّ وقالت: "إنّي أرى الشّجر قد أقبل إليكم" وأنشدت:

خذوا حذاركم يا قوم ينفعكم

فليس ما قد أرى بالأمس يحتقر

إلى قولها:

ثوروا بأجمعكم في وجه أولهم

فإن ذلك منكم فاعلموا ظفر

وناهضوا القوم بعض الليل إذ رقدوا

ولا تخافوا لهم حربا وإن كثروا

فلمّا أصبح قوم زرقاء اليمامة صبحهم العدوّ وقتلوا منهم مقتلة عظيمة. فاعتبروا إنّ في الأثر عِبر وخاب من لا يعتبر.

الحرب على غزّة: ولمّا استحكمت حلقاتها فرجت

لا بدّ أنّ نتنياهو وبايدن ومعهم زبانيتهم قد أخطأوا حين ظنّوا أنّ حسابات القوّة لا تخطئ. فالعديد من الحضارات والدّول قد انكسرت، بينما يتكدّس في مخازنها من الأسلحة ما يكفي لتدمير دول.

إنّ دولة الاحتلال ودول الشّيطان من غربية ومستعربة، تلك التي تحيك المؤامرات والمخطّطات الشّيطانية اليوم على غزّة، وتحارب مجتمعة بأسلحتها الجرّارة المقاومة دون أن تكسرها أو تقضي عليها، قد أخطأت في تقدير قدرات هذه المقاومة التي يخرج مقاتلها عاري الصّدر لا يأبه بالموت بل يرحّب به لأنّه يعلم أنّه موت الشّرف الذي يمنحه الشّهادة. فأسلحة العالم مجتمعة لن تستطيع كسره أو النّيل منه. هذا المقاتل الذي خرج لمواجهة الموت، خرج لأجل أقصاه المبارك وأرضه وتحقيق حرّيته وحرّية شعبه، هذا العاشق للحرّية، المؤمن بالله، لن تقهره أيّة قوّة في العالم.

ولمّا رأت دولة الاحتلال هذه الشّراسة في القتال التي أودت بها نحو هاوية الخسارة على جميع المستويات من جنود وآليات، ووصلت الخسارة إلى عمقها فخسرت اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا، ما كان منها إلّا أن ردّت بكلّ وحشية ودموية، فاستخدمت الأسلحة المحرّمة والفتّاكة لإبادة شعب أعزل. وسّعت عدوانها من شمال القطاع إلى وسطه حتّى وصل اليوم إلى رفح، تدعمه الولايات المتّحدة الأمريكية بكلّ ما تمتلك من طاقات.

ونتنياهو ما دخل رفح يتخبّط فيها، مع أنّ جيشه لم يحرز منذ الحرب غير الإبادة والخسارة إلّا لأنّه يعلم عبر التاريخ أنّ لا مستقبل لأيّة قوّة استعمارية في أيّ مكان في العالم. فها هم الصّليبيون احتلّوا في الماضي المسجد الأقصى أكثر من

80 عام حتّى أنّ خيلهم غاصت في دماء المسلمين، ثمّ حوّلوه إلى حظيرة للخيول. لكنّهم خرجوا بعد ذلك أذلّاء على يد القائد صلاح الدّين الأيوبي.

فلسطين ليست ملكا له ولا لشعبه، لها أصحاب شرعيّون مرتبطون بها بجذور قويّة، أمّا دولته فهي مستعمرة ولا بدّ لها أن ترحل. وحاخاماتهم يدركون هذا الأمر -أي زوال الدّولة-، يدركون أنّهم في مرحلة الإفساد الثّانية التي ذكرها الأثر الشّريف. لذلك نجدهم اليوم وقد زاد فسادهم وتجبّرهم وفسقهم، وقهرهم للشّعب الفلسطيني عن طريق المجازر والتّضييق عليه بشتّى الطّرق، بشكل خاصّ في الحرب الأخيرة على غزّة 2023 إلى اليوم وقد دخلت الحرب شهرها الثّامن. فما كان من هذه الدّولة إلّا أن أغلقت المعابر في وجه المساعدات للقطاع، يتلذّذ جيشها مع قادته بآلام المتألّمين المنكوبين.

إلّا أنّ وعد الله آت والله لا يخلف وعده. وهذا الطّوفان بشرى بأنّ هذا الوعد لا بدّ له أن يأتي بإذن الله، هذا الطّوفان الذي قلب المعادلات وغيّر النّظريات على مستوى العالم. فلم تعد أيّة قوّة تسعى للتّحرّر مثل حركة حماس تُنعت "بالإرهابية"، بل أصبح يطلق عليها مقاومة تسعى للتّحرّر من نير الاستعمار "الصّهيوأميركي". ولم تعد صورة الفلسطيني المقاوم مشوّهة بل انكشف وجهها الجميل للعالم، فقبل طوفان الأقصى كانت تلك الصّورة المشوّهة تشكّل تبريرا لأيّ عدوان لدولة الاحتلال على الشّعب الفلسطيني، أمّا اليوم فلم تعد كذلك. لم يعد التّعاطف مع السّردية الصّهيونية التي تدّعي بأنّ دولة اليهود مسكينة ومحاصرة بالدّول العربية التي من الممكن أن تنقضّ على تلك الدّولة في أيّ وقت كما هي، بل مالت كفّة التّعاطف لتكون في صالح فلسطين وشعبها المظلوم. فكانت النّتيجة خروج شعوب العالم بعد الطّوفان بالملايين تتظاهر من أجل فلسطين ووقف الحرب على غزّة. وطلّاب الجامعات الأميركية أيضا خير دليل على قلب الموازين وتغيير المعادلات الكاذبة التي تصدّرت الواجهة العالمية لعقود، وكأنّ العالم بات يردّد في أذن المقهورين: "فلمّا استحكمت حلقاتها فرجت".

الحرب على غزّة: هل تغيّر قانون الصّراع على البقاء؟

علّمونا منذ تبلور وعينا قانون "الصّراع على البقاء"، وأنّ البقاء في هذا الصّراع هو للأقوى. رسّخوه في عقولنا فاستسلمت وتسرّب إلى قلوبنا إلى أن وهنت. هذا الاستسلام وذاك الوهن هما اللذان فكّكا الأمّة وأضعفاها، ودفعا بمشرّدي العالم للانقضاض على فلسطين قلب الأوطان. التهموها تحت ذلك القانون، فغدونا كأنّنا في غابة، فريسة ومفترس، قويّ وضعيف، قادر على البقاء لأنّه يمتلك أنياب قاتلة ومستسلم لا يمتلك سوى الخنوع لتلك القوّة.

نعم، قانون البقاء للأقوى هو قانون الغاب. فكيف سمحنا لهم أن يطبّقوه علينا إلّا لأنّنا ضعفنا وزاد وهننا ورضينا بالاستسلام؟

واليوم تجمّعت أمم الشّيطان "غربيّة وصهيوعربية" على غزّة، كلّ واحدة تقضم منها جزءا باسم محفل الشّر الذي صنعته شياطينهم، لولا أنّ طلّاب الحرّية فيها غيّروا القانون. لقد نجحت المقاومة الفلسطينية في قلب القانون من البقاء للأقوى إلى البقاء لصاحب الحقّ، صاحب الأرض والمقدّسات، للأكثر رسوخا والأعمق جذورا، لمن يمتلك الإيمان، لمن فضّل الموت على الحياة في سبيل انتزاع الحقوق. فكلّما رخصت الحياة في قلب الإنسان كلّما كان أقوى، هذا لأنّ حبّ الحياة والقوّة لا يجتمعان.

الجنديّ في جيش الاحتلال يعشق الحياة ويستميت من أجلها، فكم من المرّات رأيناهم يبكون ويصرخون في مواجهاتهم مع عناصر المقاومة في غزّة، هؤلاء الذين يخوضون هذه المواجهات رغما عنهم، أذلّاء، لأنّهم يتعلّقون بالحياة فقط، وكلّما زاد هذا التّعلّق زادتهم الحياة إذلالا، وأرعبهم الميدان وأرعبتهم القنبلة اليدوية حتّى وهم يتحصّنون داخل دبّابة.

كم أرعبتهم هذه المعادلة التي اخترعتها المقاومة، معادلة اسمها من مسافة صفر. كم أرعبهم ووتّرهم هذا الصّفر بعد أن تحوّل بين يدي عاشق الموت إلى أضخم الأرقام، هذه المعادلة التي حوّلت الميركافا الحصينة إلى رماد ذرته في عيون صانعيها. كلّ ذلك لأنّ الحياة عند عاشق الموت تعني الشّهادة، وهذه التي تمنح الشّهيد الحياة الأبدية في الجنّة الموعودة. والعكس هو الصحيح بالنسبة لعاشق الحياة الغاصب.

عاشق الموت الذي يُكبّر حينما يصوّب نحو هدف للعدوّ، تعبر تكبيرته الحدود، تتلقّاها شعوب الأرض فتهتف بها أيضا، ما أرعب عاشق الحياة ودولته، فتجلّى هذا الرّعب في أساليب البطش والوحشية من تنفيذ الإبادة على كلّ شيء في غزّة. وكلّ مرّة تدكّ المقاومة معقلًا للعدوّ تزداد حالة الرّعب له فتزداد الوحشية أكثر بحقّ الأبرياء، ثمّ يخرج نتنياهو ليصرّح بعدد انتصارات جيشه الجبان وأنّهم حقّقوا هدفهم بالقضاء على المقاومة. غير أنّ الحقيقة أنّ هذا الجيش يخفق ولا زال في كلّ اجتياح له من شمال القطاع إلى جنوبه فلا يستقوي إلّا على الأطفال. فنتنياهو حين ادّعى أنّ جيشه قضى على المقاومة في الشّمال وخرج منه نحو باقي القطاع مزهوًّا بانتصارات كاذبة، دكّته المقاومة في الشّمال وقتلت عددا غير قليل من عناصر جيشه ناهيك عن تدمير عدد من الآليات. فما الذي حصل؟ هل عادت المقاومة التي ادّعى نتنياهو أنّه قضى عليها بعد خروجه منها إلى الحياة؟ طبعا لا، لكن نتنياهو يكذب ويشوّه الحقائق لأنّه لن يتمكّن من القضاء على عشّاق الموت كما يحلم ويتوهّم. والظّفر بإذن الله للمقاومة التي دمّرت محفلهم الشّيطاني وطاغوتهم "البقاء للأقوى" عندما سنّت قانون البقاء لصاحب الحقّ وكفى.

الحرب على غزّة: قائد بألف وآخر بـ"تُفّ"

وأخيرا فزت ...

هذا ما ردّده الشّهيد منذ معركة بدر الكبرى وحتّى معركة طوفان الأقصى. وطوابير الشّهادة لا زالت تزدحم بطلّابها في غزّة، عشّاق الموت الذين فضّلوا نور العرش على أنوار الحياة وأضوائها الزّائلة، هؤلاء فقط من فهموا معادلة الحياة والموت، فالموت عندهم هو الأجمل. لكن من الذي منحهم هذا الإدراك؟

ميدان المعركة هو الذي منحهم إدراك ما لم يتمكّن من هم خارج حدوده أن يدركوه. فاقتراب المقاوم من دبّابة العدوّ لا يرهبه مثلما يرهب غيره. هو يرى في تلك المسافة التي تفصله عن الدّبابة، المسافة التي تقرّبه من الشّهادة؛ لذلك نراه شجاعا مقداما، يخرج من بين الرّكام ممسكا قنبلته يلصقها من مسافة الصّفر غير آبه. وهنا يتجلّى معنى الصّفر، إنّه لا يعني رقما مادّيا، بل إنّه الرّقم المعنوي الذي يفصل بينه وبين مبتغاه. هو الرّقم بكلّ تجلّياته الرّوحية التي تقرّبه ممّا يتمنّى، وهل تتمنّى هذه الرّوح أكثر من الرّاحة الأبدية؟

في الميدان تختلف الأشياء والرّؤى. الصّلاة وقراءة القرآن تشبعان روحه فيقتنع الجسد الذي يلحّ عادة في طلب الغذاء المادّي، فيكفّ عن الطّلب ويكتفي بما أعطاه الله. في الميدان يصبح أصغر مقاوم أو قائد يختلف عما هو خارجه. ذرّة التّراب العالقة بحذائه أشرف من جميع القادة الذين تهاونوا ولا زالوا بما يحصل في غزّة بل ويتسابقون للعق حذاء العدوّ. فشتّان ما بين ذلك القائد الغضّ الذي يقاتل في ميدان غزّة بهدف تحريرها، وبين لاعق الأحذية الذي "يقاتل غزّة" ويساهم بإبادة شعبها بجميع طاقاته.

ومن هنا، هذا القائد "الصّهيوعربي" الذي لا يساوي "تفّ" من فم طفل من أطفال غزّة، لعمري إنّه لأشدّ خطرا من الصّهيوني. لأنّ الأخير خطره مكشوف، أمّا الأوّل فمخطّطاته الشّيطانية ومؤامراته على غزّة تدار من تحت طاولات العهر. وقد وصل عهرهم إلى إرسال جيوشهم للمشاركة في إبادة غزّة. فهل هناك عهر أكثر من ذلك؟ والسّؤال هو، كيف لهذه الجيوش أن ترضى بهذا الدّور الحقير دون أن تنقلب على لاعق الأحذية الذي أرسله؟

لكن هيهات، فالذي طهّر نفسه قبل دخول ميدان الشّهادة بماء الإيمان، لا يشبه ذلك الذي دخل الميدان بنفس نجسة. ومقاومتنا دخلت متطهّرة إلى ميدانها.

العدوّ اليوم متجبّر ومصاب في أكثر من مقتل، لذلك نجده يستخدم نجاسته في تنفيذ الإبادة بقدر ما يستطيع. غير أنّ المقاومة المباركة المتسلّحة بالإيمان تقف له بالمرصاد، تنكّل به وتدميه وتجرح شوفينيته التي رافقته لعقود تمرّغها في وحل غزّة. والمتابع للمعركة سوف يكتشف ذلك، فاليوم مثلا يعجز جيش العدوّ عن كسر المقاومة في مخيّم جباليا، يخوض المعركة تلو الأخرى بهدف القضاء عليها، لكنّه كعادته منذ بداية العدوان، لا يحرز سوى فقدان عناصره الجبانة.
أمّا المقاومة فتحظى بالنّصر تلو النّصر والشّهادة تلو الشّهادة، راضية بما قسم لها الله.

فصبرًا، صبرًا يا أهل غزّة ويا مقاومة غزّة، فمهر الحرّية غالٍ، وأقصانا يستحقّ وفلسطين تستحقّ، والله اختاركم دون العالمين ومنحكم هذا الشّرف. فهنيئا لكم هذه المنحة.

الحرب على غزّة: ستهزمون يعني ستهزمون

فوجئت دولة الاحتلال بالقدرات الضّعيفة لجيشها النّظامي في مواجهة حرب العصابات، وأنّه غير قادر على السّيطرة على أرض الميدان سواء زمانيا أو مكانيا. هذه الدّولة التي لولا التّغطية الجوية لخرجت من غزّة مهزومة مدمَّرة منذ الأسبوع الأوّل.

وبرغم التّفوّق العسكري، إلّا أنّ هذا التّفوّق أثبت أنّه لا يضمن الحفاظ على أسس قوّة الرّدع، وبالتّالي ضمان الأمن القومي. فامتلاكها لذلك التّفوّق الجوّي لم يمكّنها من القضاء على المقاومة الفلسطينية كما توعّد نتنياهو، كما أنّ ارتكابها الإبادة الجماعية بحق المدنيّين وتدمير البنية التّحتية للقطاع أيضا لم يفلح في تحقيق ذلك الهدف. ومن الأسس التي فشلت بها أيضا أثناء الحرب على غزّة، خوضها الحرب دون خسائر بشرية، إذ استطاعت المقاومة تكبيدها مئات الجنود والضّباط منهم من خرج قتيلا وآخرين خرجوا بعاهات جسدية ونفسية.

ومن الطّبيعي أن تفشل دولة الاحتلال في حربها البرّية، فدبّابة العدوّ لم تواجهها دبّابة من قبل الطّرف الآخر، بل واجهت جسد المقاوم، يخرج ويختفي كأنّه جسد غير مرئي. هذا العدوّ المفترض يمتلك ما لم تمتلكه الدّبابة وهو عنصر المفاجأة المكانية والزّمانية في الظّهور وأداء المهمّة بسرعة عجيبة، ثمّ يختفي كشبح، فالأرض أرضه ويعرفها كما يعرف الشّخص خطوط كفّه. إضافة إلى أنّ أرض المعركة تمركزت في محيط جغرافي محدود. في حرب لبنان الأخيرة بين حزب الله ودولة الاحتلال، حاولت الأخيرة خوض مثل هذا النّوع من المواجهة، غير أنّها اضطرّت إلى وقف المعركة عندما تيقّنت أنّها ستنهزم لو استمرّت في الميدان.

إلّا أنّ نتنياهو يصرّ على القضاء على جيشه حتّى آخر جندي ويرفض دخول أيّة مفاوضات من شأنها وقف الحرب. دخل رفح بشوفينية النّصر الموهوم برغم إدراكه أنّه مهزوم بالفعل، فهو لم يحقّق أهدافه التي صرّح بها في بداية عدوانه. لكنّه ربّما يسعى إلى استعادة شيء من هيبة الرّدع التي تمزّقت على أعتاب شراسة المقاومة في جميع مناطق غزّة. بالإضافة إلى أهداف مضمرة أخرى كنت قد تناولتها في مقال سابق.

نتنياهو دخل رفح معتمدا على قناعة أنّ سلاح الجوّ قادر على تدمير المقاومة التي يدّعي كذبا أنّه دمّر معظم ألويتها في معاركه السّابقة في القطاع. لكن سرعان ما تبدّدت إشارة نصره الحالمة وقد مرّت أيام على دخوله بقعة جغرافية ذات مساحة ضيّقة ومكتظّة بالنّازحين دون أن يفعل سوى ما فعله منذ بداية حربه من قتل وتدمير وحشي لمدنيّين كانت رفح مكانهم الآمن والأخير بعد تدمير منازلهم في مناطقهم التي نزحوا منها. وخسارة تلو الأخرى واجهت هذا النّتن، فجنوده يقتلون في كلّ مكان بسبب ضربات المقاومة، هذا يعطيه جوابا شافيا ودليلا قاطعا على فشله في عملية ردع المقاومة والقضاء عليها.

والفشل الأهمّ لنتنياهو هو إخفاقه في تأليب السّكان على مقاومتهم من خلال المجازر التي ينفّذها جيشه على مدار السّاعة. أمّا الضّربة القاصمة فهي عودة النّازحون من سكّان غزّة إلى شمال القطاع، وها هو مخيّم جباليا في شمال غزّة يثبت صموده مع المقاومة برغم عمليات الإبادة والتّدمير. وذاق جيش الاحتلال الأمرّين بسبب ما ينتظره من كمائن مركّبة وعمليات قنص، بالإضافة إلى دكّ مواقع القيادة والمراقبة وأساليب المقاومة الأخرى.

واليوم العدوّ يتخبّط في هذا المخيّم فيزداد وحشية بسبب الخسائر، فها هو النّاطق الرّسمي العسكري الصّهيوني يعترف بحالة التّخبّط ويصرّح قائلا: "ضغط عملياتي كبير في مخيم جباليا وتحقيقاتنا خلصت إلى أنّ دبّابة فتحت النّار

على مبنى فيه جنود لنا". الجيش اليوم مهزوم ميدانيا وسينهزم أكثر كلّما طال زمن الحرب.

الحرب على غزّة: المحكمة الجنائية الدّولية التي يديرها الشّيطان

زعمت دولة الاحتلال زورا وبهتانا أنّ عملية 07 أكتوبر هدّدت أمنها القومي وكانت من أهمّ الأسباب لاندلاع الحرب وقيام الدّولة بممارسة حقوقها المشروعة في الدّفاع عن نفسها واستقرار أمنها، ورأت أنّ ممارسة ما أطلقت عليهم "إرهابيين" لحقّهم في الدّفاع عن أرضهم وتحجيم الممارسات الوحشية ضدّ الفلسطينيّين وضدّ المقدّسات الإسلامية بما فيها المسجد الأقصى، وما يقوم به المستوطنون من إقامة طقوس تلمودية في حرمه ومطالباتهم بإقامة هيكلهم المزعوم، أنّها أعمال إرهابية. غير أنّ هذه الدّولة لا ترى أنّها هي الإرهاب بعينه حين سرقت الأرض وطردت الأهل وشرّدتهم بعد تنفيذها الإبادة الجماعية بحقّهم وتهجيرهم قسريا خارج حدود أرضهم وأقامت المستوطنات ومزّقت الوطن.

وإذا عدنا إلى السّوابق الدّولية التي مارستها الشّعوب للدّفاع عن بلادها، مثل ما فعله الشّعب الفرنسي ضدّ النّازية، والذي وصفه العالم بالفعل البطولي المستحقّ للتّقدير والإجماع على مشروعيّتها وقانونيتها من جهة، فسنجد أنّ دولة الاحتلال تزيّف الحقائق وتقلب القواعد لصالحها. فالمقاومة الفلسطينية لم تفعل أكثر ممّا فعله الشّعب الفرنسي.

من الجدير بالذّكر أيضا أنّ هناك مبدأ هامًّا حرص المجتمع الدّولي على التّأكيد عليه وهو مبدأ حقّ الشّعوب في تقرير مصيرها. وقد أضحى هذا المبدأ في النّصف الثّاني من القرن التاسع عشر أساسا للكفاح في معظم أوروبا. وفي تاريخ 11 فبراير لعام 1918 أعلن الرّئيس الأمريكي "ولسون" في خطابه أمام الكونغرس الأمريكي جاء فيه أنّ "حقّ تقرير المصير ليس عبارة جوفاء، وإنّما هو

مبدأ لا مناص عن الائتمار به في العمل ومن يتجاهله بعد اليوم من ساسة الدول فهو مخاطر".

كما نجد في الفقرة الثّانية من المادّة الأولى، وكذلك في المادّة الخامسة والخمسون من ميثاق الأمم المتّحدة "اعتبار حقّ تقرير المصير من الأهداف الرّئيسية التي قامت من أجلها منظّمة الأمم المتّحدة".

استنادا إلى ما تمّ ذكره وبعيدا عن ازدواجية المعايير التي تمارسها الدّول التي تقف جنبا إلى جنب مع دولة الاحتلال الظّالمة، والتي سنّت تلك القوانين، فإنّ الشّعب الفلسطيني عندما يقوم بعمليات المقاومة ضدّ الممارسات التي تقوم بها دولة الاحتلال في حقّ الشّعب الفلسطيني إنّما يمارس إجراءً مشروعا وحقًّا ضمنه ميثاق الأمم المتّحدة واعتبرته قواعد القانون الدّولي بأنّه حقّ مقدّس.

وبناءً على ما ذكرته، فإنّ ما خرجت به المحكمة الجنائية الدّولية من مذكّرات توقيف بحقّ قادة المقاومة الفلسطينية لمخالفتها المواثيق والقرارات الأممية لهو باطل، فقد ساوت هذه المحكمة بين المعتدي وصاحب الحقّ. وبدلا من تجريم مجرمي الحرب من أمثال بنيامين نتنياهو وإيتمار بن غفير وبقية المجرمين، استصدرت مذكّرات توقيف بحقّ نتنياهو ووزير دفاعه يوآف غالانت وصفتها حركة حماس بالمتأخّرة.

هذا كلّه يقودنا إلى حقيقة واحدة هي أنّ الأمم المتّحدة وعصبة الأمم والمحاكم الجنائية الدّولية وغيرها من المنظّمات الدّولية وحقوق الإنسان ما قامت لولا حاجة دولة الاحتلال لها لضمان دوامها واستمراريّتها، وأنّ كلّ ما يحصل هو مسرحية شيطانية هدفها استمرار الإبادة في غزّة والتّخلّص من أهلها، ثمّ الانتقال للتّخلّص من بقية الشّعب الفلسطيني في الدّاخل والضّفة وإقامة دولة يهودية نقية. ولو أنّها ليست مسرحية لما خرج نتنياهو متحدّيا بعد صدور القرار بتوقيفه ليصرّح قائلا: "قرارات الجنائية الدولية لن تؤثر في تصرفاتنا". ولو أنّها أيضا ليست

مسرحية لم يكن ليأتي أعضاء جمهوريون من مجلس النّواب لإعداد تشريع احترازيّ لفرض عقوبات على مسؤولي المحكمة الجنائية الدّولية إذا أصرّوا على أوامر اعتقال مسؤولين "إسرائيليين".

نحن اليوم أمام مسرحية يديرها الشّيطان، وهنا تكمن أهمّية ما تقوم به المقاومة الفلسطينية من جهاد، لأنّها أدركت من خلال تجاربها أنّ السّلاح وحده القادر على التّخلّص من هذا الرّأس، وبقية الأمور وهم وكذب.

الحرب على غزّة: من غيّر قواعد اللّعبة؟

صدر بتاريخ 15 أكتوبر لعام 1970 عن الجمعية العامّة للأمم المتّحدة قرار جاء فيه أنّه "يطالب شباب العالم بالوقوف ضدّ أيّ عمل عسكريّ أو غير عسكريّ بهدف القضاء على حركات الشّعوب التي ما زالت تعاني من سيطرة استعمارية أو عنصرية أو أجنبية أو ترزح تحت نير الاستعمار". وحيث أنّه وبالرّجوع إلى الوقائع التاريخية وعلى الخصوص ما يسمّى بـ"الكتاب المقدّس" لليهود، سنجد أنّ فلسطين وردت في صفحاته وعرّفتها بأنّه المكان الذي أقامت به القبائل الكنعانية.

ومن المعروف أنّ القبائل الكنعانية أقامت بالفعل منذ 3 آلاف سنة قبل الميلاد. بالإضافة إلى المؤابيين والعموريين الذين ينحدرون أيضا من قبائل عربية. ثم توالت الغزوات من بابل واليونان وأشور وبيزنطة إلى الفتح الإسلامي، وصولا إلى الخلافة العثمانية وحتّى احتلال فلسطين عام 1917 من قبل بريطانيا. وأثناء ذلك، نجد أنّ الدولة اليهودية المزعومة لم تستمر أكثر من 400 عام انتهت عام 586 ق.م. وكانت القبائل العربية قبل ذلك وأثناءه وبعده تقطن فلسطين، ووجود هذه القبائل لم ينقطع في أيّ فترة من الفترات.

وبالعود إلى عام 1917، كانت فلسطين قد وضعت تحت ما سمّي بالانتداب البريطاني. غير أنّ الحقيقة أنّه احتلال هدف إلى تمكين الصّهاينة من إقامة وطن قوميّ لهم حسب ما جاء في وعد بلفور الباطل الذي أعطى الأرض ممّن لا يملك إلى من لا يستحق تحت خرافة أنّها أرض بلا شعب. وعن طريق الهجرات اليهودية المتتالية لشتات اليهود إلى فلسطين، وبمساعدة دول الشّيطان التي لم تعد تخفى على أحد، وتنفيذ مئات المجازر ومحو القرى الفلسطينية وممارسة التهجير

القسري على أهلها، قامت الدّولة اليهودية الاستعمارية الاحتلالية العنصرية الأجنبية على أرض فلسطين الكنعانية.

من هنا تحتّم على أصحاب الأرض الشّرعيين تشكيل خلايا لمقاومة هذا المحتلّ اللّاشرعي والتّخلّص من الدّولة التي دعا القرار المذكور في بداية المقال، والذي طالب الشّباب بمساندة حركات الشّعوب للتّخلّص من الاستعمار. كما جاء المبدأ الذي أعلنته الجمعية العامّة بتاريخ 12 ديسمبر 1972 بأنّ "كفاح الشّعوب الخاضعة للسّيطرة الاستعمارية والأجنبية والنّظم العنصرية في سبيل إقرار حقّها في تقرير المصير والاستقلال هو كفاح مشروع".

وحركة المقاومة الفلسطينية هي جزما واحدة من حركات التحرّر، وهي نفسها الحركة التي تنعتها دولة الاحتلال "بالإرهابية"، ونفسها التي قام شبّان العالم بالوقوف إلى جانبها اليوم ضدّ العدوان الذي تشنّه دولة الاحتلال الظّالمة على قطاع ضيّق مكتظّ بالسّكان 2024/2023. هي نفس الحركة التي قامت محكمة الجنائية الدّولية باستصدار مذكّرات اعتقال لقادتها تحت مسمّى "إرهابيّين وقتلة"، الحركة التي كشفت كذب المحاكم الدّولية والأممية وغيرها، هي نفسها التي أقامت العالم ولم تقعده، وغيّرت القواعد وأعادت الوعي الذي سيجتثّ رأس الشّيطان وأعوانه بإذن الله. يرونه بعيدا ونراه قريبا ...

الحرب على غزّة: تبريرات باطلة

عندما وضعت الحرب العالمية الثّانية أوزارها وحان وقت الحساب، كانت محكمة "نورمبرج" قد انعقدت لمحاكمة مجرمي الحرب النّازيين، فبرّر المتّهمون وقتها أعمالهم التي ارتكبوها أثناء الحرب بأنّها من باب الدّفاع عن النّفس، لتردّ المحكمة بقولها أنّ "من يلجأ إلى الحرب العدوانية يفقد حقّ الادّعاء بحقّ الدّفاع عن النّفس، وذلك استنادا إلى مبدأ في القانون الجنائي وهو أنّه لا يجوز الادّعاء بالدّفاع عن النّفس وبمواجهة الدّفاع عن النّفس".

واليوم دولة الاحتلال تتقمّص دور الضّحية "المُداس" على طرفها وتبرّر عدوانها على غزّة 2023-2024 الذي لم يشهد مثله التّاريخ بالدّفاع عن نفسها وتلقي باللّوم كلّه على عملية طوفان الأقصى يوم 07 أكتوبر، وتتّهم المقاومة الفلسطينية زورا بارتكاب مجزرة بحقّ المستوطنين وقتلت 1400 مستوطن خلال هجومها واستهدفت الأطفال والنّساء بشكل رئيسي. فجاء ما صرّحت به "هآرتس العبرية " ليظهر الحقيقة حيث ذكرت أنّ مروحية قتالية تابعة للجيش "الإسرائيلي" وصلت مكان الحفل الذي نظّم قرب كيبوتس "رعيم" في غلاف غزّة يوم 7 أكتوبر وأطلقت النّار على منفّذي الهجمات هناك. وكما يبدو أصابت أيضا بعض المشاركين في المهرجان".

وبالرّغم من ذلك، تذرّعت هذه الدّولة بالهجوم مع أنّها فعليا من قتلت أكثر مستوطنيها، لتشنّ في اليوم التّالي 8 أكتوبر عدوانا عنوانه الحقد والانتقام، ارتقى خلاله عشرات الآلاف من الشّهداء من سكّان قطاع غزّة، جلّهم من الأطفال والنّساء.

وبذريعة الدّفاع عن النّفس، ينادي اليوم أعضاء من حزب اليمين المتطرّف على رأسهم بن غفير وقد دخلت الحرب شهرها الثّامن باحتلال غزّة وإقامة المستوطنات على أرضها بهدف حفظ أمن الدّولة. غير أنّ الهدف المضمر هو تنفيذ خطّة التّوسّع التي تسعى إليها هذه الدّولة منذ تأسيسها. نذكر منها ما جاء في مذكّرات "حاييم وايزمان" الزّعيم الصّهيوني حيث يقول زاعما: "إنّني أعلم بأنّ الله قد وعد ابناء "إسرائيل" بفلسطين ولكنّني لا أعرف الحدود التي رسمها. إنّني أعتقد بأنّها أوسع من الحدود المقترحة الآن وربّما ضمّت شرق الأردن."...

كما تبدو حقيقة هذه المطامع بشكل واضح في الشّعار المكتوب على باب الكنيست وهو "حدودك يا "إسرائيل" من الفرات إلى النّيل".

وعودا إلى "بن غفير" وتصريحه الذي خرج به قائلا: "احتلال غزّة بشكل كامل، كلّها مع سيطرة "إسرائيلية" كاملة، استيطان يهوديّ في غزّة، لكن هذا ليس كافيا"، وأضاف "هناك خطوة أخرى وهي الخطوة الأهم، تشجيع الفلسطينيين على الهجرة الطّوعية"، يفسّر لنا كلامه هذا إقامة الميناء العائم الذي أقامته الولايات المتّحدة الأمريكية على أنقاض بيوت غزّة وأهلها، والذي ادّعت كذبا أنّها أقامته بهدف تسهيل وصول المساعدات الإنسانية إلى القطاع.

كما يفسّر تصريح "بن غفير" سبب وحشية الحرب التي من أهدافها التّخلّص من سكان غزّة عن طريق الإبادة والتّرهيب وتضييق سبل العيش بهدف إجبارهم على المغادرة عن طريق الميناء والسّفن التي تنظرهم، معتقدين أنّهم سيجبرون السّكان على المغادرة كما فعلوا قبل 76 عاما بأهل حيفا. لكن هيهات، فاليوم ليس كالأمس، وأهل غزّة مرابطين متشبّثين بأرضهم ويدركون المؤامرة الخبيثة التي يحيكها رأس الشّيطان وأعوانه. يردّدون ما قاله الشّهيد الشّيخ عزّ الدّين القسّام: "إنّه لجهاد، نصر أو استشهاد".

الحرب على غزّة: لمن أشكو همّي والقاضي غريمي؟

من المعروف عن دولة الاحتلال ومنذ الإعلان عن قيامها بأنّها لم تذعن إلى اليوم لأيّ قرارات أو قوانين تصدر عن جمعيات أممية دولية أو منظّمات أو غيرها، لأنّها تعلم أنّ أمّها الولايات المتّحدة الأمريكية أوجدت تلك المنظّمات من أجل عينيها ولأجل استمراريتها. بتاريخ 29 نوفمبر 1947 صدر عن الجمعية العامّة للأمم المتّحدة قرار التّقسيم الذي أوصى بتقسيم فلسطين إلى دولة يهودية وأخرى عربية، وبرغم ما جاء في القرار من إجحاف بحقّ الشّعب الفلسطيني إلّا أنّ الطّفل المدلّل لم تعجبه القسمة وحصّته اللّامشروعة من الأرض، فتشيطن وقام بتنفيذ الخطط التي كان قد وضعها قبل سنوات، وهي خطط تضمّنت عمليات التّطهير العرقي. فبدأت عصابات هذا الطّفل المدلّل بمهاجمة القرى والمدن الفلسطينية التي كانت من حصّة الشّعب الفلسطيني ضمن قرار التّقسيم، ومن هذه المدن يافا وعكا وأجزاء من القدس. فارتكب طفل أمريكا المجازر ومحا قرى بأكملها كأنّها لم تكن يوما وهوّدها بتغيير أسمائها ومعالمها.

حتّى عندما دخلت الجيوش العربية التي كان جنودها ومعظم ضبّاطها يتعطّشون للجهاد وتحرير فلسطين، بعيدا عن بعض القيادات التي كان لها أهداف ومطامع أخرى، صدر قرار أثناء الحرب عن مجلس الأمن الخائن ينصّ على وقف إطلاق النّار بين القوّات العربية واليهودية كهدنة مؤقّتة. حيث ضمن القرار عدم المساس بحقوق الطّرفين بالرّغم أنّ لا حقوق لليهود تذكر في فلسطين. إلّا أنّ دولة الاحتلال لم ترضخ لما نصّ عليه القرار واستمرّت في تنفيذ خططها التّوسّعية، فقامت أثناء الهدنة باحتلال النقب وأم الرشراش اللتين كانتا أيضا ضمن حدود الدّولة الفلسطينية. لكن دولة الاحتلال أرادت أم الرشراش لتحصل على منفذ على البحر الأحمر، وأرادت النقب لما تحويه أرضها من خامات اليورانيوم الذي

استخدمته لصناعة سلاحها النّووي بعد إقامة مفاعل ديمونة في منطقة النقب فيما بعد. والأمثلة على مثل تلك الخروقات كثيرة لهذه الدّولة المدلّلة، نقتصر على ما ذكرنا بهدف عدم الإطالة.

واليوم كالأمس، لم يتغيّر شيء حول تمادي دولة الاحتلال في ركل قرارات المنظّمات الدّولية والمحاكم وغيرها بسبب رأس الشّيطان الولايات المتّحدة الأمريكية، ففي الهدنة التي عقدت أثناء حربها على غزّة 2023-2024 قامت بخرقها وأطلقت النّار على المدنيين وقتلت عددا منهم.

واليوم بعد مرور أشهر على الحرب، تركل قرارات المحكمة الجنائية الصّادرة بتوقيف قادة من دولة الاحتلال على رأسهم نتنياهو. والسّبب أنّ هذه المحاكم ترزح تحت سيطرة أمريكا. فها هي مجموعة من أعضاء مجلس الشّيوخ الأمريكي من الحزبين الجمهوري والدّيمقراطي تتعهّد باتّخاذ إجراءات ضدّ المحكمة الجنائية الدّولية دفاعا عن دولة الاحتلال. كما صرّح بلينكن وزير خارجية الولايات المتّحدة أنّ إدارة الرّئيس الأمريكي بايدن ستكون مستعدّة للعمل مع الكونغرس على أساس الحزبين لإيجاد ردّ مناسب على جهود المحكمة الدّولية ضدّ "إسرائيل". كما ترفض هذه الدّولة اعتراف دول كبرى بدولة فلسطين بإقدامها على إلغاء فكّ الارتباط مع شمال الضّفة الغربية وسط دعم أمريكي أيضا.

فلمن أشكو همّي والقاضي غريمي؟

الحرب على غزّة: غطرسة وتصوّرات نمطية

منذ بداية حربها على غزّة ودولة الاحتلال تروّج عبر قنواتها بأنّها المنتصر الذي لا غبار عليه، بالتّالي تقوم بوضع مخطّطاتها لليوم الموالي للحرب. لكن وفي كلّ مرّة تدخل فيها منطقة من القطاع تعود لسحب قواتها، ليتّضح عكس ما روّجت له. الحقيقة أنّها خرجت منتصرة بتنفيذ المجازر والاستقواء على المدنيّين العُزّل. بينما لم تحقّق الأهداف التي من أجلها بدأت به عدوانها الغاشم، وفي كل مرة تتكشّف لها مفاجآت جديدة استقبلت المقاومة الفلسطينية بها جنود الاحتلال.

وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أنّ دولة الاحتلال لم ترَ أمامها غير التّصوّرات النّمطية في تعاملها مع المقاومة. وبهذا الفعل وتلك التّصورات ستقضي المفاجآت على خططها لما بعد الحرب، لذلك فهي أخطأت خطأ فادحا في التصورات التي بنتها وبدأت الحرب على أساسها. لكن ما سبب رسوخ تلك التصورات النمطية؟

الإجابة ببساطة ... إنّها الغطرسة الصّهيونية التي لا تسمح لها أن ترى حين تنظر في مرآتها سوى ذاتها المتضخّمة، بينما ترى الآخرين صغارا ضعافا أمام ضخامتها. تدوسهم بأقدامها الضّخمة المتغطرسة دون أن يخطر لها أنّ وقت السّقوط لن تساعدها تلك الضّخامة ولا الغطرسة على الوقوف إلّا إذا توفّرت لها رافعة تساعدها على الوقوف. الرّافعة اليوم هي الولايات المتّحدة الأمريكية التي تسندها في كلّ سقوط بعد خسارة محتملة. غير أنّ وقوفها بعد السّقوط لن يتركها كما كانت، بل إنّها في كلّ مرّة تسقط سيتهشّم جزء من غطرستها شاءت أم أبت، هذا التّهشيم حاصل. ففي كلّ مرة يخرج من منطقة ويدخل أخرى يجد المقاومة له بالمرصاد، تنكّل به من خلال نصب الكمائن وعمليات القنص وتدمير آلياتهم

وغيرها من الأساليب والوسائل التي تبدع بها المقاومة؛ فيخرج الجيش بمئات الخسائر مدّعيا الانتصار والقضاء على المقاومة هناك.

ولحفظ ماء الوجه يرفض هذا العدوّ المفاوضات المشروطة وإيقاف إطلاق النّار، ويتّجه نحو منطقة جديدة ليجد نفسه في ورطة أشدّ من سابقتها. فالأفخاخ بانتظاره لا تتركه حتّى تحطّم شيئا من غطرسته وظنّه أنّ قوّته ستفيده. وهكذا حتّى دخل رفح متهدّدا متوعّدا أنّها محطّته الأخيرة للقضاء على حدّ زعمه على بقايا ألوية المقاومة لكسب انتصار أمام العالم.

وهنا في رفح صدقت المقاومة بما وعدتهم لو دخلوها، وكذب بنيامين نتنياهو بما توعّد. فها هم جنوده يقتلون بالعشرات، مرّة بالاشتباك من مسافة صفر، ومرّة من خلال عمليات الاستدراج وتفجير العبوات المضادّة للأفراد بهم، وتفجير الآليات بقذائف الياسين، واستهداف القوّات بقذائف الهاون، وتفجير فتحات الأنفاق، واستهداف مروحيّات الأباتشي ... وغير ذلك. فالمقاومة كما أكّد أبو عبيدة النّاطق الرّسمي باسم كتائب القسّام، أنّهم "على استعداد لمعركة استنزاف طويلة مع العدوّ".

وبناء على ما ذكرنا سابقا، هل صدقت التّصورات النّمطية التي وضعها بنيامين نتنياهو وحكومته نصب أعينهم حين قرّروا شنّ هذا العدوان على قطاع غزّة؟ وما ردود أفعالهم اليوم وهم يشاهدون جنودهم وضبّاطهم تصطادهم المقاومة الفلسطينية كما يصطاد الصّياد البطّ كما وصفها أبو عبيدة؟ وبكم من البطّ سيضحّي نتنياهو ليحقّق ما توعّد به من بداية الحرب، خاصّة وأنّ المفاجآت التي أعدّتها المقاومة كثيرة ومتنوّعة؟

الحرب على غزّة: من عصابات إرهابية إلى أحزاب منشقّة

يتّسم النّظام السّياسي في دولة الاحتلال بتعدّد الأحزاب والقوائم السّياسية، حيث يتوجّب على النّاخب أن يختار قائمة حزبية بأكملها، ثمّ يتمّ تمثيل كلّ حزب داخل "الكنيست" بناء على عدد الأصوات التي حصلت عليها قائمته. غير أنّ الشّخصيات تلعب دورا مساويا للبرامج الحزبية في الانتخابات، ما يجعل الأحزاب في حركة دائبة بين الانشقاق والتحالف. وبسبب ذلك نجد أنّ مشاعر الكراهية كثيرا ما تكون حاضرة بين المرشّحين بالإضافة إلى الناخبين. وهذا يعكس حالة الانقسام التي تسود في هذا المجتمع الذي يدّعي أنّه مجتمع على النّمط الغربي.

بالرّجوع إلى النّواة الأساسية التي نمت منها الأحزاب الصّهيونية السّياسية، نجد على سبيل المثال أنّ حزب "الماباي" الذي كان يترأسه "دافيد بن غوريون" أطلّ برأسه من العصابة المعروفة "الهاجاناه" ذات الطّابع العسكري، والتي كان لها دور كبير في تنفيذ عمليات التّطهير العرقي عام 48. أمّا حزب "المابام" العمّالي فقد خرج من نواة عصابة "البالماخ" شبه العسكرية. وحزب "حيروت" الذي يعدّ النّواة الأساسية لحزب "الليكود" اليميني المتطرّف قد نما وترعرع في تربة العصابة الإرهابية "منظّمة الإرجون" التي قادها المتطرّف "فلاديمير جابوتنسكي" وورثها من بعده "مناحيم بيغن" المجرم.

هذا التاريخ يقودنا إلى خلاصة مهمّة مفادها أنّ هذه الأحزاب ليست أحزابا بالمعنى المتعارف عليه في أوروبا الغربية، إنّما هي أحزاب أساسها عصابات إرهابية تتغذّى على دماء الأبرياء وسلب الحقوق. فالآباء المؤسّسون للدّولة من يهود الأشكيناز هم من أسّس هذا الحزب -أقصد حزب العمل-، الذي حمل شعار "الاشتراكية والتّقدّمية" الكاذبة. فنظرتهم الشّوفينية الغربية دفعتهم للاستئثار

بالمناصب القيادية والرّفيعة واستبعاد يهود الشّرق السفارديم منذ قيام الدّولة وحتى عام 1977. إلّا أنّه عندما رجّحت كفّة الميزان الدّيمغرافي لصالح يهود السفارديم وتفوّقوا على يهود الأشكيناز، استقطبهم حزب اللّيكود المعارض للحكومة آنذاك فصعد سدّة الحكم في 77. وبدأ نجم العمل بالأفول.

واليوم في حربها على غزّة 2023-2024، تعاني دولة الاحتلال أزمة انشقاقات بين أعضاء حزب اللّيكود من جهة، وبينه وبين الأحزاب الأخرى من جهة. وقد وصل الانشقاق والتّفتّت إلى الشّارع اليهودي، فبينما يعتمد نتنياهو على الصّهاينة المتديّنين والأرثوذكس المتطرّفين في دعمه لمواصلة الحرب، نجد شريحة واسعة في المجتمع اليهودي تطالبه بوقف الحرب واستعادة الأسرى، وأنّ أعداء الدّيمقراطية موجودون في حكومته.

وهذا يوآف غالانت من حزب اللّيكود ووزير الدّفاع في حكومة نتنياهو يدخل في صدامات متكرّرة مع سموتريتش وبن غفير من نفس الحزب في معركة بشأن رفضه الحكم العسكري الدّائم في غزّة في اليوم التّالي للحرب.

أمّا من يسمّى بوزير العدل "ياريف ليفين" عضو اللّيكود، فيقول: "إنّ الشّعب الإسرائيلي لن يوافق على تسليم غزّة لسيطرة السّلطة "الإرهابية الفلسطينية"، وأمنها لن يتمّ ضمانه إلّا من خلال التّصميم على النّصر". فيقف بهذا إلى صفّ بن غفير وسموتريتش ودعوا جميعا لإقالة يوآف غالانت.

كما طفت على السّطح مسألة تجنيد طلاب المعاهد الدّينية "الحريديم" في الجيش، وهو تحرّك يدعمه "غانتس" من حزب حوسين يسرائيل -هو ائتلاف سياسي وسطي ليبرالي- وحلفاؤه، بالإضافة إلى العديد من العلمانيين. غير أنّ الأحزاب الدّينية تعارضه بشدّة.

المجتمع في دولة الاحتلال منقسم على نفسه على مستوى الأحزاب والشّعب والقيادات العسكرية وغيرها. وهذا الأمر ليس بالجديد، إلّا أنّ غزّة كشفت

المستور.

واليوم غزّة هي الكاشفة والحقيقة التي لن تغيب شمسها ...

الحرب على غزّة: مجزرة رفح، ليست الأولى

انتشرت مساء يوم أمس الموافق لـ 26 مايو 2024 رائحة الموت في مخيّم النّازحين الواقع قرب مخازن وكالة الغوث "أونروا" شمال غرب رفح، أين كان جيش الاحتلال قد دفع السّكان إليه حين اجتاح مدينة رفح مدّعيا ملاحقته لبقايا المقاومة الفلسطينية للقضاء عليها، وأنّ هذه المنطقة من ضمن المناطق الآمنة التي لن تكون تحت مرمى أسلحته. غير أنّ هذا الجيش الذي يقوده الحقد التّلمودي لنتنياهو أبى إلّا أن ينفّذ حكم الإعدام حرقا بسكّان الخيم، وذلك من باب أنّ الإعدام حرقا من أشدّ العقوبات قساوة في حقّ البشرية، لأنّ الجلد أكثر الأعضاء احتواء لمستقبلات الإحساس بالألم في جسد الإنسان.

ونتنياهو الذي يعشق التّفنّن في إيلام الشّعب الفلسطيني وتحديدا غزّة التي آلمته بمقاومتها وثبات شعبها، أراد لها اليوم موتا مختلفا يعبق برائحة الشّياط. فهو يعلم الأثر الذي ستتركه الصّواريخ التي وجّهها جيشه لضرب خيم النّازحين في وقت خلد الأطفال الذين أنهكتهم حرارة الشّمس والجوع طوال يوم متعب إلى النّوم، يتلفعون خوفهم في هذا الوقت ويتّخذون الخيمة غطاء لأجسادهم الهزيلة. هذا الغطاء البلاستيكي هو في الأصل مادّة نفطية سريعة الاشتعال لا يؤتمن جانبها خصوصا في وقت الحرب، وأيّ حرب؟ إنّها حرب نتنياهو الذي يحرّكه شيطانه ليرتكب المزيد من القتل والتّفنّن به.

نتنياهو الذي يرتكب جرائم أبعد ما تكون عن البطولة التي يدّعيها منذ بداية الحرب، يدرك ما يفعل ويدرك ما يريد. دخل غزّة بهدف واضح صرّح به قبل عملية الطّوفان وهو التّوسّع والتّخلّص من الشّعب الفلسطيني. هو يسعى إلى تنفيذ إبادة جماعية في حقّ القطاع والتّخلّص من سكّانه الشّرعيين وبناء المستوطنات،

وتطهيره إلّا من العرق اليهودي. ليتفرّغ بعد ذلك للضّفة الغربية وفلسطيني الدّاخل، ثمّ يتوسّع بأرضه لتشمل ما تسمّى بـ"أرض إسرائيل" حلم الصّهيونية. وإن لم تستيقظ الأمّة سيكون ما يريد ويخطّط له.

هدفه واضح وضوح الشّمس، وأدواته أيضا واضحة وهي المجازر. وتاريخ هذا العدو حافل بالمجازر وعمليات الإبادة الجماعية منذ 48 وإلى يومنا هذا. فأين هم أهل دير ياسين وقبية والدوايمة والطنطورة والكثير من المدن والقرى؟ بل أين هي الأسماء العربية؟ لقد طمس العدو ما استطاع طمسه وبقيت الإشارات القريبة التي تخبر أنّ قرية كانت هنا وستنتفض يوما من جديد نراه قريبا.

والهجوم لم يأت في هذا التوقيت عن عبث. فقبل يومين صدر قرار محكمة اللّاعدل الدّولية الذي أمر دولة الاحتلال بوقف عملياتها العسكرية في رفح بهدف حماية المدنيّين ومنع حدوث إبادة جماعية، فجاء الهجوم الذي تسبّب في مجزرة مروّعة بحق المدنيين ليكذّب محاكم اللّاعدل والمحاكم الجنائية، وأنّ قراراتها الفخرية تحت أقدام نتنياهو، وأنّها غير قابلة ولا صالحة للتّنفيذ بدليل أنّ جيش الاحتلال أقرّ أنّه نفّذ عملية القصف في رفح علانية بعد ارتكاب المجزرة.

وأستغرب ممّن يتّهم كتائب القسّام بأنّها المتسبّب الأوّل للمجزرة بسبب العملية المركّبة التي نفّذتها قبل يومين في مخيم جباليا شرق غزّة فأسرت وقتلت من جنود العدوّ. حيث أعلن عنها النّاطق الرّسمي باسم كتائب القسّام أبو عبيدة في وقت متأخّر من ليلة السّادس والعشرين.

وهنا لا يسعني إلّا أن أوجّه لهم سؤالا منطقيا، من الذي عرقل ويعرقل المفاوضات التي كان من ضمنها شرط وقف إطلاق النّار بشكل دائم من قبل حركة حماس مقابل تسليم أسرى العدوّ؟ من الذي ضحّى بالأسرى ولم يكونوا منذ بداية الحرب أحد أولوياته؟ من الذي قتلهم وبأسلحة صهيونية؟ من الذي يريد إطالة زمن الحرب لتحقيق مصالح شخصية مدّعيا أنّ جلّ أولويّاته استعادة الأسرى؟ فكيف

سيكون الأسرى الجدد ضمن قائمة أولويّاته اليوم؟ وخاصّة أنّ بعض من حلّل صور هؤلاء الجنود الأسرى توصّلوا إلى نتيجة أنّهم من مرتزقة العالم؟

وأخيرا، المجازر كما ذكرت سابقا هي ديدن هذه الدّولة ومجزرة رفح ليست الأولى في تاريخها الدّموي ولن تكون الأخيرة ما لم تنتفض الأمّة جمعاء. وواقع رفح اليوم هو واقعنا القادم. فلنتعقّل قبل أن نكيل الاتّهامات لمقاومة تركت وحيدة تقاتل دولا كبرى بعتادها وأموالها، مقاومة تصل اللّيل بالنّهار لنسج فجر جديد عنوانه الانتصار بإذن الله وإزالة شوكة الاحتلال ومن يقف خلفهم.

الحرب على غزّة: يقتل القتيل ويمشي في جنازته

أقرّت الولايات المتّحدة الأمريكية بتاريخ 11 سبتمبر 2001 قانونا تحت مسمّى "باتريوت أكت" أو قانون "مكافحة الإرهاب"، وذلك بعد هجمات سبتمبر التي وصفتها "بالإرهابية". وهو قانون يختصّ بتسهيل إجراءات التّحقيقات والوسائل اللّازمة لمكافحة الإرهاب، حيث يعطي أجهزة الشّرطة صلاحيات من شأنها السّماح لهذه الأجهزة بالاطّلاع على المقتنيات الشّخصية للأفراد ومراقبة اتّصالاتهم والتّصنّت على مكالماتهم بحجّة كشف عمليات الإرهاب.

ومن خفايا هذا القانون الشّيطاني أنّ تطبيقاته تسمح بردع كلّ من يناهض دولة الاحتلال أو يعترض على سياستها -وأقصد الولايات المتّحدة الأمريكية- في دعم ذيلها المزروع في قلب أوطاننا. وقد استند الكونغرس الأمريكي إلى هذا القانون في منع محاسبة الجنود الأمريكيّين في قضية سجن أبو غريب في العراق وجرائم الحرب التي تمّ ارتكابها به، وغيرها من القضايا التي تستوجب وقوف الرّئيس الأمريكي وقتها "جورج بوش" أمام المحكمة الجنائية الدّولية. لكنّه لم يقف.

واليوم تستند إلى نفس القانون لحماية دولة الاحتلال ومنع أيّ قانون دوليّ يجرّم ما تقوم به ضدّ الشّعب الفلسطيني في قطاع غزّة. وتعتبر ولايات الشّيطان هي المزوّد الرّئيسي للأسلحة المحرّمة التي يستخدمها جيش الشّتات لقتل أهلنا في غزّة، بل ويجعلها شريكة في هذه الجرائم.

لكن كيف لمحاكم ومنظّمات صنعتها أمريكا وذيلها أن تقدم اليوم لتقف ندّا لندّ أمام صانعها أو الإقدام على محاسبته؟ فالولايات المتّحدة الأمريكية ومنذ "ترومان" حتّى "جو بايدن" وهي تتآمر مع الحركة الصّهيونية على الشّعوب العربية وفلسطين. أمّا الشّعوب فتآمرت عليها حين نصبت أزلاما زوّدتها بشتّى الأدوات

القمعية التي تساهم في إغلاق الأفواه وحني الرّؤوس. وتآمرت على فلسطين حين وقفت جنبا إلى جنب مع بريطانيا في سلب الأرض وإقصاء أصحابها الشّرعيين وإحلال صهاينة الشّتات عليها من خلال الطّرق التي لا تخفى على أحد. ففي كلّ الحروب التي خاضتها العصابات الصّهيونية قبل قيام الدّولة وحتّى انبثاق الجيش النّظامي الصّهيوني من تلك العصابات كانت الأسلحة المحرّمة والفتّاكة الأمريكية حاضرة.

واليوم، وبعد 7 أكتوبر لا زالت الولايات المتّحدة هي الدّاعم الرّئيسي لدولة الاحتلال بأسلحتها الفتّاكة والمحرّمة وأموالها وجنودها ومرتزقتها وقوانينها بما فيها الباتريوت أكت. وهي بذلك شريكة في الجرائم التي ارتكبتها دولة الاحتلال، لكن من سيحاسب الاثنتين؟ ولم تكتف أمّ الحرّيات والدّيمقراطيات بذلك الكمّ الهائل من الدّعم لدولة الاحتلال، بل تعدّاه إلى الدّعم المعنويّ الذي صوّر صهاينتها للشّعب الأمريكي لعقود بأنّهم الشّعب المظلوم والمحارب من قبل جالوت الفلسطيني بعد وصمه بـ"المجموعات الإرهابية" زورا وبهتانا خاصة الحركة الإسلامية حماس، لأنّ الإسلام يرهبهم ويرهب ذيلهم وأزلامهم.

غير أنّ طوفان الأقصى كشف الحقائق فأدرك الشّعب الأمريكي ولو متأخّرا أنّ رؤسائهم كذبوا عليهم طيلة عقود ولا زالوا، وها هم اليوم ينتفضون في وجه إدارة بايدن مندّدين بدعم أمريكا لدولة الاحتلال، رافعين لافتات تدعم فلسطين وغزّة وشعبها الصّامد الصّابر.

ولا أعرف بعد كلّ ما فعلت وتفعل الولايات المتّحدة لدولة الشّتات تأتي اليوم بتصريحاتها الكاذبة الصّادرة عن البيت المسمّى بالأبيض تتباكى على الفلسطينيّين بعد محرقة رفح نفاقا. ففي تاريخ 27 مايو 2024 صدر عنه تصريح يصف صور الغارة "الإسرائيلية" على خيام رفح بـ"الصّادمة" ويؤكّد أنّ على "إسرائيل" القيام بكلّ الاحتياطات من أجل حماية المدنيّين، وأضاف أنّه يتواصل

بشكل فعّال مع الجيش "الإسرائيلي" و"الشّركاء" في الميدان لتقييم ما حدث. وهنا نوجّه سؤالا للولايات المتّحدة، من الذي صنع قنبلة GPU-39 التي أُلقيت على خيام النّازحين في رفح؟ إنّه النّفاق الأمريكي يا سادة يتجلّى بكامل حلل الكذب. وقد صدقت الأمثال التي لم تترك شيئا إلّا وقالته، فأمريكا اليوم ينطبق عليها المثل القائل "يقتل القتيل ويمشي في جنازته".

واليوم لا تخفى وقاحة ونفاق الولايات المتّحدة الأمريكية ورؤساءها ومحاكمها وعصبها الأممية وأممها المتّحدة على أصغر طفل في غزّة والعراق وسوريا واليمن وغيرها من مشرقنا ومغربنا المباحين ممّن ذاقوا ويلات أسلحتها الحارقة ونفاقها المقزّز. فعلى من يكذبون وينافقون وأطفال غزّة اليوم يبصقون في وجهها وفي وجه ذيلها المريض السّادي وأزلامها من فوق كراسيهم العزيزة التي لا يؤمن لها جانب وستسقط يوما. اليوم أطفال غزّة يصرخون بهم جميعا: "كفى نفاقا" ...

الحرب على غزّة: هل وصل جيش نتنياهو إلى مرحلة عجز القوّة؟

لحرب العصابات تاريخ طويل يرجع إلى زمن النّبي محمد صلّى الله عليه وسلّم. وخير مثال ما قام به الصّحابي الجليل أبي نصر رضي الله عنه عندما استنزف كفار قريش مع مجموعاته المقاتلة الصّغيرة ودفعهم للتّنازل عن شرطهم الذي اشترطوه على النّبي عليه الصّلاة والسّلام.

وقد أثبت هذا النّوع من الحروب نجاعته بالفعل في دفع الجيوش النّظامية على الاستسلام بشرط ألّا ترتطم تلك العصابات بالخيانات كما حدث مع المجاهد اللّيبي عمر المختار الذي لولا الخيانات الدّاخلية والخارجية لما كانت المعركة قد حسمت لصالح الإيطاليين.

يعتمد هذا النّوع من الحروب على السّرية والرّصد والتّخفّي، كما يعتمد على نصب الكمائن والهجوم، والأهمّ عنصر المفاجأة والانسحاب السّريع، أي استخدام أسلوب الكرّ والفرّ أو اضرب واهرب. والهدف المرجو من هذا النّوع استنزاف قدرات العدوّ المادّية والمعنوية وبالتّالي الاستسلام.

نجح هذا الأسلوب من الحرب في فيتنام حين كبّدت العصابات الجيش الأمريكي الخسائر الفادحة وأجبرتها على إنهاء الاحتلال والخروج وهي تجرّ أذيال الخيبة والخسارة. كما أجبر هذا الأسلوب جيش الاحتلال الصّهيوني على الانسحاب من لبنان عام 2006، حيث كان المقاتلون من حزب الله يراقبون عدوّهم من خلال الأنفاق والمخابئ.

وقد انتهجت المقاومة الفلسطينية هذا النّهج مع العدوّ الصّهيوني منذ بداية حروبها على غزّة، وبأسلحتها البسيطة استطاعت أن تحرز الانتصارات تلو

الانتصارات على جيش الاحتلال المدجّج بكافّة أنواع الأسلحة التي تتدفّق إليها من الدّول الداعمة لها وعلى رأسها الولايات المتّحدة الأمريكية.

ومن الواضح اليوم في حربه الأخيرة على غزّة أنّ هذا الجيش بسبب ما تتميّز به حرب العصابات من استنزافها للجيوش النّظامية قد بدأ بالفعل يشعر بما يسمّى بـ"عجز القوّة". فمنذ بداية الحرب والمقاومة تستنزف طاقاته جسديا ومعنويا، ونتنياهو يفشل في أهدافه المعلنة وهي القضاء على المقاومة في قطاع غزّة واستعادة الأسرى. غير أنّه لن يستطيع القضاء عليها إلّا في أحلامه وأوهامه، وكلما ازداد شعوره بعجز القوّة كلّما زادت عنده غريزة الانتقام من خلال ارتكاب المجازر والتّخبّط والخروج من منطقة داخل القطاع إلى منطقة أخرى دون إحراز أيّ هدف.

واليوم في معاركه الأخيرة مع المقاومة في جباليا ورفح، اعترف جيش الاحتلال بأنّه يعيش أشدّ أيام القتال ضراوة منذ بداية الحرب البرّية. وهذا طبيعيّ لأنّ هذا الجيش يقف أمام مقاوم جريء يخرج بلباسه غير المدجّج بالسّلاح الثّقيل ويتنقّل بنعاله الجلدي ولا يحمل شيئا سوى قنبلة وروحا مقبلة على الجنّة، فكيف له أن يُهزم؟

الحرب على غزّة: ولنا في فيليب حبيب عبرة

حينما قرّرت دولة الاحتلال إخراج منظّمة التّحرير الفلسطينية من لبنان، اتّخذت قيام مجموعة أبو نضال المنشقّ عن حركة فتح محاولة اغتيال السّفير اليهودي في بريطانيا بتاريخ 6 مارس لعام 1982 الذّريعة لبدء الحرب على لبنان والمقاومة الفلسطينية. فتوغّل جيشها بتاريخ 5 جوان 1982 إلى أن وصل مشارف بيروت ودخل يوم 14 لنفس الشّهر بيروت الشّرقية، وبدأ فرض حصار على بيروت الغربية، واستمرّت الحرب بين جيش الاحتلال والمقاومة وحلفائها من اللّبنانيين حوالي ثلاثة أشهر. ثم تمّ التّوصّل إلى اتفاق بتاريخ 21 أوت بعد مفاوضات عبر المبعوث الأمريكي "فيليب حبيب"، يقضي بتسليم المقاومة الفلسطينية أسلحتها الثّقيلة إلى الجيش اللّبناني، وخروجها بأسلحتها الخفيفة إلى دول عربية بضمانة أميركية فرنسية إيطالية، كما نصّ الاتّفاق على خروج لواء الجيش السّوري من بيروت الغربية إلى منطقة البقاع اللّبنانية، والتّعهد بالحفاظ على سلامة المخيمات الفلسطينية وعائلات المقاتلين.

غير أنّه وبعد خروج المقاومة الفلسطينية تمّ اغتيال بشير الجميل وكان قد انتخب كرئيس للبنان بتاريخ 23 أغسطس 1982، وتمّ اغتياله بتاريخ 14 سبتمبر 1982 مع 26 من أعضاء الحزب عندما انفجرت بالمكان قنبلة وهو يخطب في زملائه أعضاء الكتائب. وكانت الحقيقة أنّ منفّذ العملية وواضع القنبلة هو حبيب الشرتوني، غير أنّ الكتائب حمّلت الفلسطينيّين تهمة الاغتيال، فاغتالت بدورها مع فصائل الانعزاليّين وجيش الاحتلال بقيادة "آرئيل شارون" مخيم صبرا وشاتيلا بتاريخ 15 سبتمبر واستمرت العملية ثلاثة أيام بلياليها وانتهت بمجزرة مروّعة عكست وحشية وحقد مرتكبيها.

وبالرّغم ممّا تعهّد به المبعوث الأمريكي "فيليب حبيب" باسم دولته بضمان سلامة المدنيّين الفلسطينيّين بعد خروج المقاومة من لبنان كما ذكرنا سابقا، إلّا أنّ ضماناته كانت واهية. لأنّه لم يقدّم ضمانات رسمية للرّئيس الرّاحل ياسر عرفات من أجل ضمان الأمن في المخيمات كما ورد في كتاب الدكتورة بيان نويهض الحوت "صبرا وشاتيلا أيلول 1982" سوى ورقة لا قيمة لها. فكانت هذه الثّقة من الأخطاء الجسيمة التي ارتكبتها المنظّمة بحقّ مخيّم صبرا وشاتيلا.

واليوم ليس ببعيد عن الأمس، فبعد دخول الحرب على غزّة 2023-2024 شهرها الثّامن، يطالعنا إعلان للرّئيس الأمريكي "جو بايدن" عبارة عن مقترح جديد لوقف الحرب يتضمّن ثلاث مراحل. فيقترح في المرحلة الأولى والتي ستستمرّ ستّة أسابيع وقفا شاملا لإطلاق النّار، وانسحاب جيش الاحتلال من المراكز السّكانية الرّئيسية في غزّة مقابل إطلاق سراح الرّهائن من النّساء والجرحى والمسنّين لدى حركة حماس ومئات الفلسطينيّين من السّجون، وعودة سكّان شمال القطاع إلى مناطقهم. ثم يتمّ الانتقال إلى المرحلة الثّانية حيث يتمّ خلالها إطلاق سراح بقيّة الرّهائن الأحياء بينما تنسحب قوّات جيش الاحتلال من غزّة، ويستمرّ وقف إطلاق النّار ورفع كمّية المساعدات الإنسانية. أمّا المرحلة الثّالثة فيتمّ خلالها تنفيذ إعادة إعمار شاملة لغزّة.

غير أنّ حركة حماس تعرف عدوّها ولن تقع في نفس المطبّ القاتل الذي وقعت به المنظّمة في 82. فالولايات المتّحدة الأمريكية وذيلها الصّهيوني لا عهود لهما، وخدعة "فيليب حبيب" ليست بعيدة ولن تنسى. لذلك أبدت حركة حماس موافقتها لكن بشرط أن يعلن الاحتلال التزامه الصّريح بذلك.

ولا أظنّ أنّ حماس التي تعتبر اليوم منتصرة على دولة الاحتلال لم تراجع كلّ بند وكلّ كلمة وردت في المقترح، فأمريكا التي تريد إخراج ذيلها الصّهيوني من ورطته وتحقيق مصالح شخصية تخدم "بايدن" و"نتنياهو" لا يؤتمن جانبها أبدا.

الحرب على غزّة: خذوا إمبرياليّتكم واخرجوا من أرضنا

الإمبريالية فلسفة سياسية هدفها التّوسّع الإقليمي ثمّ إضفاء الشّرعية على هذا التّوسع. وقد استمدّت هذه الإمبريالية مبدأها المشوّه الذي طبّقته عامدة على عالم البشر من المعرفة التي اكتسبها العلم الأوروبي في مطلع القرن التّاسع عشر، حيث صنّف العالم إلى فئات ودرجات طبقا للقوّة والضّعف، التّقدّم والتّخلّف، التّفوّق والتّدنّي. وقد كان هذا التّصنيف هو الإنجاز الرّئيسي للعلم الأوروبي في القرن المذكور.

ومن هنا ذهب "داروين" إلى تطبيق نظريات التّصنيف للنّبات والحيوان على البشر، فقسّمهم إلى أجناس، الأبيض والأسود والأصفر وغيره. وقسّم آخرون البشر بناء على اللّغات، حتّى وصل بعضهم إلى التّصنيف حسب الفروق العرقية والسّلالية. فجاء تصنيف المجتمعات إلى متقدّمة ومتخلّفة، وأنّ الإنسان المتحضّر يتمتّع بالقدرة على تطوير الأرض وتنميتها. فالإنسان من الجنس الأبيض يتمتّع بالقدرة على الإنتاج والإبداع، بعكس الأسود المبدّد للموارد الطّبيعية وإنتاج الأرض.

ومن هنا جاء تقسيم البعض للأراضي في العالم إلى صنفين، صنف فارغ بصرف النّظر عن وجود سكّان فيه، وصنف تسكنه مجتمعات متحضّرة. ولقد صودر الصّنف الأوّل لصالح الرّجل الأوروبي الأبيض. فكان من نتيجة تلك التّصنيفات أن قامت الحملات الواسعة في نهاية القرن التّاسع عشر لاقتسام الأراضي في إفريقيا وآسيا وأمريكا.

وبهذا كان ذلك العلم الأوروبي قد ساعد الرّجل الأبيض على تبرير إمبرياليته فاستوطن الأرض التي لا يملكها وشرّد أصحابها الشّرعيين. وعندما نشأت الحركة

الصّهيونية، كانت قد استفادت من تلك الإمبريالية في الاستيلاء على أرض فلسطين وأضافتها كخلطة مهمّة إلى النّصوص الدّينية المقدّسة عند اليهود.

وبالاستناد إلى التّقسيم السّابق الذي قسّم الأراضي في العالم إلى صنفين أحدهما صنف فارغ، ادّعت الصّهيونية أنّ فلسطين أرض بلا شعب بالرغم من سكّانها الذين يقطنون أرضها منذ قرون. وبمساعدة المستشرقين الذين نقلوا صورة مغلوطة للعالم الغربي بأنّها عبارة عن صحراء ومستنقعات وتنتشر فيها الحشرات، كانت لهم الأحقّية في مصادرتها من منطلق أنّ الرّجل الأوروبي الأبيض هو الأولى بتعميرها وتحويلها إلى جنان. وبما أنّ المستوطنين الأوائل هم من هذا الصّنف الأوروبي الأبيض، فقد مارسوا إمبريالية الغرب عليها وعلى سكّانها المصنّفين حسب التّصنيفات العلمية الغربية بأنّهم الملوّنين المتخلّفين المبدّدين لموارد الأرض.

وقد تعامل هؤلاء مع الشّعب الفلسطيني منذ البداية على هذا الأساس بل أسوأ، فأبادوهم باعتبارهم حيوانات تشبه البشر، بالرّغم من أنّ الحيوانات تحظى في الغرب الذي جاؤوا منه بالاهتمام والرّعاية. ولم تتوقّف هذه الدّولة وصهيونيتها الإمبريالية عن التّعامل مع صاحب الأرض الشّرعي على أنّه حيوان ومتخلّف. فاليوم في حربه على غزّة، يدخلها بنيامين نتنياهو مع جيشه من نفس المنطلق الإمبريالي العفن، فيصف أهلها بالحيوانات هو وقادة وسياسيّو الاحتلال.

وقد افتخر وزير الدّفاع بأنّ "جيشه فرض حصارا شاملا على غزّة تضمّن قطع الماء والكهرباء ومنع الإمداد بالوقود والطّعام، معلنا العزم على إبادة سكّان القطاع لأنّهم حيوانات على شكل بشر". كما تسابق ذكور السّاسة والدّين الذين ليسوا برجال فالرّجولة تتبرّأ منهم لأفعالهم، على التّحريض ضدّ الفلسطينيّين وتكرّر إطلاق وصفهم بالحيوانات، وباتت هذه الأوصاف جزءا من خطابهم السياسي.

ومن هنا فإنّ صهيونية هذه الدّولة مارست إمبريالية الغرب المتوحّش على أصحاب الأرض الشّرعيين، إلّا أنّ المقاومة الفلسطينية أعطتهم منذ بداية الحرب دروسا قاسية في العلوم ولقّنتهم درسا مهمًّا لن ينسوه بأنّ أهل غزّة هم الأرقى في سلّم التّصنيفات البشرية وهي خطّ أحمر فخذوا إمبرياليتكم واخرجوا من أرضنا.

الحرب على غزّة: لا تراهنوا على الولايات المتّحدة الأمريكية

باتت الشّعوب العربية الواعية تدرك منذ زمن أنّ عقد الرّهانات على الولايات المتّحدة الأمريكية لتأمين حقوقها وإنصافها وعلى رأسها الحقّ الفلسطيني هي رهانات خاسرة. فكيف نراهن على المسؤول المباشر عن ويلاتنا؟ الدّولة الأولى على رأس القائمة التي وضعت القوانين والمواثيق الدّولية وحقوق الإنسان وأقامت المحاكم الجنائية وهي لا تحترم أيّ قانون، كيف لنا أن نراهن عليها؟ فمتى قامت الولايات المتّحدة بحلّ مسائل مصيرية مثل مسألة القدس واللّاجئين والمستوطنات، وغيرها من الخروقات التي ترتكبها دولة الاحتلال منذ قيامها بحق الشّعب الفلسطيني؟ بل بالعكس، نحن إلى اليوم لم نرَ أنّها سعت إلى حلّ أو مفاوضات وكانت لغير مصلحة دولة الاحتلال.

لو قمنا بعمل مراجعة للأحداث والمواقف خلال العقود الماضية لوجدنا أنّ الولايات المتّحدة تكذب ولا تريد الخير لقضيّتنا المحورية. فبالعودة مثلا إلى مراحل التّفاوض الذي قادته بين دولة الاحتلال والسّلطة الفلسطينية، سنجد أنّ الدّور الذي لعبته في التّسوية كان هدفه تصفية قضية فلسطين لصالح الاحتلال وعلى حساب الشّعب الفلسطيني في الدّاخل والشّتات.

والمتتبّع لسياسة "بنيامين نتنياهو" منذ اعتلائه سدّة الحكم سيجد أنّه يسعى على الدّوام إلى انتزاع اعتراف بالدّولة اليهودية من قبل السّلطة الفلسطينية، وأنّ الولايات المتّحدة تقف خلفه وتدعمه بكلّ طاقاتها لتحقيق ذلك. فالمفاوضات التي انطلقت في فترة رئاسة "باراك أوباما" تعهّدت بالتّسليم بالمستوطنات الكبرى في الضّفة الغربية ثمّ ضمّها إلى دولة الاحتلال بحجّة "تبادل

الأراضي"، ما يعني التّنازل عن حقّ العودة وحدود 1967، ثمّ تهويد القدس وترحيل فلسطينيي 48 من أجل استكمال شروط إقامة الدّولة اليهودية الصّافية عرقيا.

أمّا "دونالد ترامب" الذي تسلّم الرّئاسة بعد فترة حكم "أوباما"، فإنّ أبرز ما قام به كخدمات لدولة الاحتلال هو اعترافه بالقدس عاصمة موحّدة لدولة الاحتلال، فنقل السّفارة الأمريكية إلى القدس في خطوة للتّأكيد على اعترافه. كما قطع كامل المساعدات عن الحكومة الفلسطينية وعن الأونروا، وأوقف دعم مستشفيات القدس، وقاد التّطبيع العربي مع دولة الاحتلال، والأبرز من بين الخدمات إعلانه "صفقة القرن" التي ستؤول إلى تصفية قضية فلسطين بالكامل.

أمّا خلفه "جو بايدن"، فكان الأفعى ناعمة الملمس جميلة الألوان التي تخفي الموت تحت نقاب هذا الجمال والبراءة، إذ أعاد بعضا ممّا قطعه "ترامب" كتعبير عن حسن النّية تجاه قضية فلسطين مثل إعادة العلاقات مع السّلطة الفلسطينية وغيرها. غير أنّه ومنذ 7 أكتوبر خلع نقاب الجمال والبراءة وانكشف اللّون الحقيقي بعد أن دلق سمّه على قطاع غزّة حيث شارك في حرب الإبادة الجماعية بأسلحة دولته وجنودها ومرتزقتها. واليوم بعد دخول الحرب شهرها الثّامن يخرج باتّفاق كنت قد تناولته في مقال سابق عن مفاوضات لوقف إطلاق النار.

المثير للغرابة والعجب ما تتناقله القنوات والصّحف المحلية والعالمية عن مفاجأة "بنيامين نتنياهو" بهذا الاتّفاق وإحراجه أمام أعضاء حزبه، وأنّ الاتّفاق وضعه في مأزق، فإن وافق عليه يسقط حزب الليكود الذي ينتمي إليه بسبب تهديدات "سموتريتش وبن غفير" بالاستقالة من الحزب، أو يمضي في الحرب ويغضب أمريكا. فنعوذ بالله من شرّ يحاك بين رأس الشّيطان وذيله. وعلى رأي المثل القائل: "أسمع كلامك أصدّقك، أشوف أفعالك أستغرب".

الحرب على غزّة: دولة -الهايدروبونيا-

لقد حاول الصّليبيون نقل مجتمع أوروبي إلى الشّواطئ الشّرقية للبحر الأبيض المتوسّط، إلّا أنّهم فشلوا بعد دحرهم من قبل المسلمين. غير أنّ دولة الاحتلال وبدعم أوروبي وأمريكي نجحوا في نقل المجتمع الأوروبي إلى تلك الشّواطئ، لذلك نجد أهدافهم السّياسية والاجتماعية هي أهداف دولة أوروبية. فكيف استطاع هذا الجسم الغريب الفعّال أن يزرع نفسه في جسم لا يرغب فيه ولم يكن قادرا على قبوله لولا تلك الحركة الخبيثة المعروفة بالصّهيونية؟

هذه الحركة المتناقضة التي استخدمت ما تسمّى بالدّيانة اليهودية كقوّة حافزة لها، مع أنّ غالبية زعمائها لم يؤمنوا ولم يمارسوا المعتقد اليهودي وما زالوا لا أدريين (الشّخص الذي ليس لديه رأي محدّد يخصّ قضية وجود إله من عدمه) إن لم يكونوا ملحدين. ومن هؤلاء "تيودور هيرتزل" و"حاييم وايزمان" و"دافيد بن غوريون"، بالرّغم من نشأتهم الدّينية إلّا أنّهم تخلّوا عنها عن معرفة لا عن جهل. لكن تلك التّربية تركت أثرا عليهم بحيث صبغت تفكيرهم الصّهيوني حتّى عندما لم يكن دافع نشاطهم الصّهيوني دينيا.

ومن هنا فإنّ من أكثر التّناقضات الظّاهرية في الحركة الصّهيونية أنّ هؤلاء الزّعماء وغيرهم ممّن كان لهم الدّور البارز في إقامة دولة الاحتلال لم يكونوا في معتقدهم الدّيني، غير أنّهم سخّروا ذلك الدّين لمهمّة بناء الدّولة. فكان الدّين هو القوّة الموحّدة الجاذبة لليهود والطريقة الأنجع لتعزيز ما يعرف بـ"الصّهيونية الرّوحية" لدفعهم إلى الهجرة نحو وطنهم المزعوم فلسطين.

وبعد أن قامت هذه الدّولة بالطّرق التي لا تخفى على أحد، أرادت صيغة تسمح لها بالحفاظ على مظهرها الأوروبي العام والحفاظ على روابط وثيقة بالدّول

الغربية، وبنفس الوقت كسب قبول القارة الآسيوية لهم. هذه الدّولة التي عاثت فسادا في الجسم الذي لم يرحّب بها من قبل قيامها وإلى يومنا هذا، دولة المتناقضات التي ارتكبت مئات المجازر والتّهجير القسري لأهل هذا الجسم المريض هي نفسها التي تذبح أهلنا في غزّة بعد 7 أكتوبر 2023 بدعم من الدّول العظمى وتآمر المتواطئين. وهي أيضا نفسها التي تحاصرهم وتمنع عنهم سبل العيش وتضيّقها عن طريق الإرهاب والتّجويع وملاحقتهم من الشّمال إلى الجنوب والعكس.

وأيضا هي نفسها التي تذوق الويلات على يد المقاومة الفلسطينية، تخرج لهم منذ بداية الحرب من كلّ مكان كالأشباح، تلحق بهم الخسائر وتتّجه بهم بصبرها وثباتها نحو الهاوية والهزيمة. فالنبتة المزروعة هايدروبونيا وهي التي تسبح جذورها في محلول كيمائي ولا تغرزها في أرض أو تربة، نبتة سهلة الخلع. ودولة الاحتلال زرعت بنفس الطّريقة، دولة معلّقة في الهواء، فهي لا تنتمي عرقيا إلى منطقتنا لكنّها موجودة جغرافيا، لكن بجذور هشّة غير مرتبطة فعليا في أرض فلسطين.

وقد قالها "دافيد بن غوريون" أنّ "دولة إسرائيل جزء من الشّرق الأوسط من النّاحية الجغرافية فقط. وهذا عنصر جامد بصورة رئيسية، فإسرائيل من نواحي الدّينامية والخلق والتّصوّرات الأساسية الفاصلة جزء من يهود العالم". فهذه الدّولة حتّى لو طاولت غيوم السّماء ستبقى بلا جذور تربطها بالأرض وتثبّتها. وبالتّالي فإنّ أيّة هبّة ريح قادرة على اقتلاعها.

المقاومة اليوم هي ريح البلاد التي ستقتلعها وتلقي بها إلى الشّتات، إلى أصولها الحقيقية التي جاءت منها ذات يوم أسود، وتقتلع معها المطبّعين والمتواطئين.

الحرب على غزّة: مجزرة النّصيرات واستراتيجية التّفتيت

بالعودة إلى وثيقة خطيرة نشرت في العام 1982 في مجلّة "كيفونيم" الصّهيونية العالمية بعنوان "استراتيجية إسرائيلية للثّمانينات"، سنجدها قد تضمّنت شرحا تفصيليا يقضي بتفتيت الدّول العربية تمهيدا لإعادة ترسيم خلافا لمعاهدة "سايكس بيكو" 1916. يقوم التّرسيم الجديد على زيادة التّفتيت بحيث يقوم على العنصرية المذهبية العرقية الإثنية والطّائفية.

وقد رأينا تطبيقها في العراق بعد الغزو الأمريكي وتمزيقه مذهبيا وطائفيا، ومحاولة تمزيق سوريا ولبنان وإعادة تقسيمهما بنفس الأسلوب. حتّى "صفقة القرن" التي كانت من أبرز خدمات الرّئيس الأمريكي "دونالد ترامب" لدولة الاحتلال، والتي تقضي بتصفية الأردن وتهجير الشّعب الفلسطيني إليها وإقامة دولة يهودية نقية. ولا ننسى مصر التي كانت زعيمة العالم العربي كيف قامت الولايات المتّحدة بشراكة صهيونية بالقضاء عليها وحرمانها من هذا الثّقل المركزي.

واليوم ما يحدث في السّودان من حروب أهلية بنفس مصدر الدّعم لمحاولة فصل جنوب السّودان لهو دليل آخر على ما تضمّنته تلك الوثيقة التي نصّت صراحة على تفتيت العالم العربي؛ وبالتالي صنع مجموعات عاجزة متناحرة مشغولة بلقمة العيش المغمسة بالذّل والمقموعة من أنظمة ديكتاتورية في محميات مضبوطة من خلال حراسة خارجية مشدّدة. بهدف ضمان أمن دولة الاحتلال القاعدة الرّئيسية للولايات المتّحدة الأمريكية.

ولو عدنا إلى بدايات الحرب على غزة بعد عملية 7 أكتوبر 2023، سنجد أنّ دولة الاحتلال دخلت بشوفينية وغطرسة مستمدّة لا من دعم الولايات المتّحدة الأمريكية الذي لا ينقطع ولا من باقي الدّول الدّاعمة فحسب، بل كان دخولها بهذا

الشّكل وتلك الجرأة بسبب تأكّدها ممّا صنعت يداها في عالمنا العربي المفتّت. فلو كانت تهاب جانبها لما تغوّلت دولة الظّلم على أهلنا في غزّة، ولما ارتكبت المجزرة تلو المجزرة منذ بداية حربها الدّموية وإلى اليوم، فبالأمس ارتكبت محرقة رفح متذرّعة بأنّها قتلت قادة من حركة حماس. وبعد منتصف ليلة أمس السّادس من حزيران أقدم الطّيران الحربي الفاشي على ارتكاب مجزرة في مدرسة للأونروا، مدرسة السردي في مخيّم النّصيرات وسط قطاع غزّة، وقصف عددا من الغرف التي تأوي عشرات النّازحين. وقد تذرّعت كالعادة باستهداف مجمّع لحماس والجهاد، وأنّها استخدمت ذخيرة دقيقة. وقد كذبت ككلّ مرّة، فالذّخيرة التي تحدّثت عنها تسبّبت في استشهاد العشرات من الأطفال والنّساء. فهل كانت ستتجرّأ على فعل ما فعلت من جرائم لن تمحى من ذاكرة التّاريخ لو كانت تعلم أنّ العرب سيقتحمون الحدود ثأرا لكلّ ما حصل ويحصل؟

غير أنّ التّاريخ يعيد نفسه، فبعد محرقة الأقصى بتاريخ 21 آب 1969، قالت "غولدا مائير": "لم أنم طوال اللّيل، كنت خائفة من أن يدخل العرب إسرائيل أفواجا من كلّ مكان. ولكن عندما أشرقت شمس اليوم التّالي علمت أنّ باستطاعتنا أن نفعل أيّ شيء نريده". صدقت هذه العجوز فيما قالت، فاليوم العرب ذابوا في ماء التّطبيع والخيانة. غير أنّ المقاومة الفلسطينية فعلت ما لم تفعله الدّول العربية مجتمعة فأربكت العدوّ ووتّرته وقلبت موازين دول تعتبر نفسها عظمى.

الحرب على غزّة: نزعة سادية ضدّ معتقلي غزّة في -سديه تيمان-

أثبتت دولة الاحتلال على مدى عقود بأنّها دولة المرضى المصابون بالسّادية. فالسّادية نزعة مركّبة من شهوة التّعذيب والشّهوة الجنسية، ويبدو أنّ جنود الاحتلال لديهم سمة التّعطّش للدّماء والتّلذّذ بعذاب الآخر وتألّمه. يقوم هؤلاء السّاديون بتفريغ شهواتهم تلك عن طريق استخدام طرق التّعذيب المنفّرة للنّفس السّوية مع ضحاياهم، ويشكّل هذا الأسلوب الدّواء لأنفسهم المريضة.

وقد وجد ساديو اليهود في توراتهم المحرّفة ونصوصها الدّموية الغطاء لنفسياتهم السّادية، حيث تشير تلك النّصوص إلى كيفية معاملة الأسرى. وكمثال سأورد بعضا ممّا جاء في "الإصحاح" من خلال الفقرة الآتية: "وكان لما أنهى إسرائيل من قتل جميع السّكان حتّى فنوا، أنّ جميع إسرائيل رجع إلى "عاي" وضربوها بحدّ السّيف. فكان الذين سقطوا في ذلك اليوم من رجال ونساء اثني عشر ألفا جميع أهل "عاي". وأحرق يشوع "عاي" وجعلها تلّا أبديا، خرابا إلى هذا اليوم. وملك "عاي" علّقه على الخشبة إلى وقت المساء، وعند الغروب أمر يشوع فأنزلوا جثّته وطرحوها عند مدخل باب المدينة وأقاموا عليها حجارة عظيمة إلى اليوم".

والفقرة السّابقة وما ورد فيها من أفعال مثل حرق المدينة وتركها تلّا من الرّكام، وقتل أهلها بحدّ السّيف وإبادتهم بذكر الرّقم المهول لعدد القتلى في يوم واحد وتعطّشهم لدماء الغير، ثمّ أسر ملك مدينة عاي وتعليقه على خشبة إلى أن مات وطرح جثّته أرضا، تحمل الدّلالات الكثيرة على إهانة الآخر حيا وميّتا. والنّزعة السّادية في وصف مشاهد القتل والتّعذيب. كما عبّروا عن ساديتهم في كتاب

"بروتوكولات حكماء صهيون" حيث جاء فيه: "يجب أن يكون شعارنا كلّ وسائل العنف والخديعة". هذا غيض من فيض ساديتهم التي تحثّ عليها نصوصهم وكتب قادتهم وحاخاماتهم.

واليوم في معتقل يقبع في الصّحراء بالقرب من مدينة بئر السّبع، وبعيدا عن أنظار العالم، يعتقل جيش الاحتلال مئات الفلسطينيين من قطاع غزّة بعد 7 أكتوبر بذريعة أنّهم من مقاتلي المقاومة.

في هذا المعتقل الذي كان قاعدة عسكرية يتعرّض معتقلو غزّة للتّنكيل من قبل جنود ساديين يعشقون القتل ورائحة الدّم. في هذا المعتقل حيث الرّوائح الكريهة بسبب الجروح المهملة التي تترك لتتعفّن، يحشر الرّجال معصوبي الأعين ويمنع عليهم التّحدّث أو الحركة لأوقات طويلة. هنا الصّعق بالكهرباء والضّرب على الرؤوس بأعقاب البنادق والتّجويع والتجريد من الملابس بهدف الإهانة. هنا يجبر الرّجال على ارتداء فوط الأطفال يرزحون تحت القيد مكبّلي الأيدي والأرجل لفترات طويلة، فتأكل الأصفاد من أطرافهم، وحين تلتهب ويعطب العضو يبتره الطّبيب بلا مخدّر في بيئة ملوّثة وموت بطيء.

هنا معتقل "سديه تيمان" الذي وقف فيه الطّبيب "يوئين دوشين" حائرا أمام اعتقال أشخاص لا يمكن أن يكونوا مقاتلين، فقال إنّه لا يعرف لماذا اعتقل الجنود العديد من الأشخاص الذين عالجهم هناك وبعضهم لا يحتمل أنّهم مقاتلون، أحدهم مقعد، وثان وزنه 300 رطل، وثالث يستخدم منذ ولادته أنبوب تنفّس مزروع في رقبته ... لا يعرف.

هنا معتقل "سديه تيمان" معتقل الموت الذي تقدّمت ضدّ ما يحصل خلف قضبانه من انتهاكات وقتل خمس جمعيات حقوقية للمحكمة العليا في دولة الاحتلال بالتماسات. ولكن عن أيّ التماسات نتحدّث؟ دولة الاحتلال اليوم فوق المحاكم والمنظّمات والحقوق، ولا تلتزم بأيّ منها لأنّ مظلّة واسعة تقف فوقها على

الدّوام وتسقط أيّ اتّهامات توجّه لها. لذلك نجد أنّ قتلتها يلقون العفو عن جرائمهم المتواصلة. ويد القانون الدّولي قصيرة مع دولة الاحتلال، طويلة مع غيرها.

الحرب على غزّة: مذبحة النّصيرات 8 حزيران والمفاوضات البايدانية

للولايات المتّحدة الأمريكية تاريخ طويل بتدبير المؤامرات والاغتيالات لكلّ من يقف في وجه مصالحها. منذ الدّكتور محمد مصدق زعيم الحركة الوطنية الإيرانية ورئيس الوزراء الإيراني في أوائل خمسينيات القرن العشرين بعد تأميمه للنّفط الإيراني، إلى الملك فيصل بن عبد العزيز الذي قطع النّفط عن الولايات المتّحدة في أعقاب حرب 73، إلى صدّام حسين، وصولا إلى المقاومة الفلسطينية التي باتت تهدّد قاعدتها وذيلها المتمثّل بدولة الاحتلال، الأداة الأمريكية التي تستخدمها في الهيمنة والسّيطرة على منطقتنا. لذلك نجدها ومنذ "ترومان" حتى "جو بايدن" تستميت للحفاظ على بقاء واستقرار تلك الدّولة وتفوّقها على الدّول العربية عن طريق تطبيق الخطّة "الأمريكية-الإسرائيلية" "فرّق تسد" من أجل تلك الهيمنة على ثروات الشّرق الأوسط، وتحويل دولة الاحتلال إلى إمبراطورية عسكرية واقتصادية عبر تمزيق العالم العربي.

وبناء على ذلك، نعود إلى الاتّفاق الذي اقترحه الرّئيس الأمريكي "جو بايدن" قبل أسابيع، والذي تضمّن إنهاء إطلاق النّار في غزّة ودار حوله الهرج والمرج، خاصة ما صدر وما زال من تصريحات متناقضة عن القنوات العبرية على لسان "نتنياهو" مرّة، وأخرى على لسان أعضاء من حزبه وغيرهم، من مثل ما جاء على لسان "نتنياهو" في مقال نشر على صفحات "إسرائيل هوم" حيث ينفي مزاعم أنّ دولته ستوقف القتال قبل إسقاط حماس وتحرير الرّهائن. وعن "يديعوت أحرونوت" أنّ "نتنياهو" يرفض عرض مقترح الصّفقة على "سموتريتش" و"بن غفير". وما جاء في القناة 13 "الإسرائيلية" عن مصدر أمني مطّلع، أنّ "احتمال إبرام صفقة ضئيل، وتصرّفات "نتنياهو" تضرّ بفرص استئناف المفاوضات". وعن

المتحدّث باسم الخارجية الأمريكية للجزيرة أنّ "الكرة في ملعب حماس الآن ونتمنّى أن تقبل الحركة بالاتّفاق".

والمثير للجدل أكثر من تلك التّصريحات هو ما طفا على السّطح ممّا تداولته الصّحف والمواقع من خلافات بين "جو بايدن" و"نتنياهو". فوسط هذه التّناقضات والتّضاربات في التّصريحات، خاصّة وأنّنا بتنا نعلم سوء النّية التي تتمتّع بها الولايات المتّحدة تجاه الفلسطينيين وتحديدا أهل غزّة، من الصّعب أن يصدّق عاقل أنّ المفاوضات تصبّ في مصلحة غزّة ومقاومتها. وأنّ الحقيقة التي تثبتها لنا مواقف الولايات المتّحدة وذيلها الصّهيوني تكمن في القضاء على حماس المسلمة وذراعها العسكري وغزّة بمن فيها.

وليس أدلّ على ذلك ممّا حدث اليوم 8 حزيران في مخيم النّصيرات حيث تمّ قصف سوق المخيّم بالطّيران الحربي والمروحي ومن المدفعية، تمّ استخدام الرّصيف العائم الذي ادّعت الولايات المتّحدة الأمريكية أنّه مخصّص لإدخال المساعدات إلى غزّة لإتمام عملية ما أسماه جيش الاحتلال استعادة الأسرى. وبغضّ النّظر أنّ الأسرى الذين زعم العدوّ تحريرهم يتبعون للأسرى الذين لدى كتائب القسّام أم لا، فإنّ الحقيقة الواضحة أنّ الولايات المتّحدة كانت تعلم بشكل مسبق بهذه العملية التي ارتقى بها إلى لحظة كتابة هذا المقال قرابة المائة وخمسين شهيدا.

وبعد هذا، هل يؤتمن جانب رأس الشّيطان وذيله خاصّة بعد أن أوجعه محور المقاومة الإسلامية عامّة والفلسطينية خاصّة؟

الحرب على غزّة: من كيسنجر إلى بلينكن ... الهدف واحد

"أن تستطيع مجموعة صغيرة من الاتّحادات العربية بعث حركة مؤهّلة لكسر شوكة إمبراطوريتين عظيمتين قد سيطرتا على الإقليم قرونا من الزّمن، كان من شأنه أن يبدو بعيدا عن الفعل وغير قابل للتّصوّر قبل عقود قليلة".

الفقرة السّابقة جاءت ضمن كتاب "النّظام العالمي" لهنري كيسنجر في تعليقه على الجيوش الإسلامية التي تمكّنت من نشر الدّين في أجزاء واسعة من العالم واستطاعت كسر شوكة الإمبراطوريتين (يقصد البيزنطية "الرّومانية الشّرقية" والسّاسانية "الفارسية")، ويستغرب ممّا استطاعت الجيوش إحرازه من انتصارات، ويصفه بأنّه غير قابل للتّصوّر. ثمّ يتابع كيسنجر قوله في تشفّ مبطّن: "والإمبراطورية الإسلامية المبكرة المتوسّعة ما لبثت أن تشظّت إلى انشقاق بين فرعي الإسلام السّني والشّيعي، وهو انقسام واضح في العالم الإسلامي المعاصر".

وهنا نستذكر عبد الله بن سبأ، يهودي الجذور الذي كان أوّل من أسّس للتّشيع من وجهة نظر البعض، وبهذا يكون أوّل من زرع الفرقة بين المسلمين، والباقي من القصّة معروف.

بعدها ينتقل كيسنجر للحديث عن أبرز أسباب تداعي ما أطلق عليه "المشروع الإسلامي العالمي" وهو المنافسات الجيوسياسية التي أّدت إلى مفاقمة الخلافات العقدية، والتي أنشأت مع الوقت بيئات عربية، فارسية، تركية ... الخ. ثم يعود لنبرة الفرح الممزوج بالتّشفّي أيضا فيقول: "أخيرا، تداعى مشروع الإسلام العالمي مع تراجع موجة التّوسّع الإسلامي الأولى في أوروبا". ثمّ يعود فيتحدّث متحسّرا عن عودة الخلافة الإسلامية على يد الدّولة العثمانية وتوسّعها في أصقاع

الأرض ثمّ انهيارها واستبدالها بدولة تركية علمانية. وهنا لا يسعنا إلّا أن نُذكّر بجمال أتاتورك العلماني يهودي الجذور ودوره في إسقاط الخلافة.

ويواصل كيسنجر حديثه حتّى يصل إلى حركة الإخوان المسلمين على يد حسن البنا في مصر وصولا إلى حركة حماس وحزب الله وإيران، ويصمها بالحركات الإرهابية التي يجب استئصالها.

الملاحظ في حديث كيسنجر أنّه دائما يركّز سواء على مستوى الجيوش أو الحركات الإسلامية والخطر الذي يتأتّى منها على مصالحهم. واليوم في حربها على غزّة، تسعى دولة الاحتلال وبدعم أميركي صليبي إلى القضاء على حركة حماس لأنّها إسلامية. حيث يطالعنا مقال نشر بتاريخ 2024/6/8 في صحيفة "تايمز أوف إسرائيل" بقلم "جيكوب ماغيد" بعنوان "الولايات المتّحدة تحثّ الحلفاء العرب على عدم تحديد موعد نهائي لحلّ الدّولتين بعد الحرب"، يتناول وثيقة باللّغة الإنجليزية تشبه إلى حدّ كبير -كما يقول كاتب المقال- مبادئ ما بعد الحرب التي طرحها وزير خارجية الولايات المتّحدة في طوكيو بتاريخ 8 نوفمبر. ولا أريد هنا أن أعلّق على تدخّل الولايات المتّحدة التي دمّرت غزّة وقتلت أطفالها ونساءها ورجالها وحتى حجارتها، كما أنّ أمر أولئك الحلفاء العرب لا يهمّني لأنّهم مجرّد كومبارس أو ألعاب ماريونيت عاجزة. إنّما ما أريد التّركيز عليه في المقال هو أحد المبادئ العشرة التي تناولتها الوثيقة، وسأذكره كما جاء ونصه كالتالي: "رفض استمرار حكم الفصائل المسلّحة في غزّة، ويجب على جميع المنظّمات الإرهابية والجماعات المسلّحة نزع سلاحها ونبذ العنف، إنّ آلية نزع السّلاح والتّسريح وإعادة الإدماج لتسهيل هذه العملية في غزة".

ما جاء في نصّ المبدأ السّابق، لا يختلف عليه اثنان من أنّه يفضي إلى حلّ المقاومة الفلسطينية المسلّحة ووصفها بالإرهابية ودمجها مع السّلطة المستسلمة.

ولا نستغرب من بلينكن اليهودي أن يضع مثل هذا المبدأ، فدوره مكمّل لدور كيسنجر الذي طالما أرهبه الإسلام والجيوش الإسلامية في فترات ازدهارها. فهدفهم واحد هو القضاء على هذه الحركات لأنّها الوحيدة القادرة على إزالتهم من منطقتنا العربية.

الحرب على غزّة: لو لم توجد لأوجدناها

استكمالا لما جاء في المقال السّابق، يتبيّن لنا من خلال التّناقضات في بنود مقترح الرّئيس الأمريكي "جو بايدن" الذي طرحه على طاولة المفاوضات قبل أسابيع أنّ هدفه ليس إنهاء الحرب على غزّة، بل على العكس، هو يعمل جنبا إلى جنب مع "بنيامين نتنياهو" لإطالة زمنها واستمرارها. غير أنّ بايدن يسعى إلى امتصاص الاحتقان للرّأي العام العالمي الذي بات واضحا من هذه الحرب الوحشية ولفت أنظاره عن عمليات الإبادة الجماعية التي لم تتوقّف منذ بداية الحرب.

الغرب على رأسه الولايات المتّحدة الأمريكية يرى أنّ الإسلام هو الخطر الأكبر المحدق به، خاصّة مع الزّيادة الواضحة في انتشاره بعد عملية 7 أكتوبر المجيدة. فقد اعتنقت أعداد غير قليلة الإسلام، والذي كان أحد أبرز أسبابه ما شاهده العالم عبر التّلفزة ومواقع التّواصل الاجتماعي المختلفة من مشاهد قتل وتدمير وتهجير وتجويع لأهل غزّة، وفي المقابل يواجه كلّ ذلك بالصّبر والحمد؛ ما جعل الشّعوب الغربية التي تتابع أحداث الحرب من خلف الشّاشات تندهش ممّا ترى وتصل إلى نتيجة واحدة هي أنّ هذا الصّبر لا يأتي من فراغ، هناك شيء عظيم يلهم هؤلاء ويمنحهم هذا الصّبر.

إنّه الإسلام الذي تسعى أمريكا وذيلها الصّهيوني وبقيّة دول الشّيطان إلى تدميره. ففي بداية الحرب على غزّة نجد تصريحا لـ"جو بايدن" يقول فيه: "لو لم توجد إسرائيل في هذه المنطقة لأوجدناها".

والمتمحّص في هذا التّصريح سيجد بأنّه يحمل دلالات كثيرة أبرزها العداء للإسلام. وهو مكمّل لتصريح "جورج بوش" عقب أحداث 2001، أحداث تفجير

برجين في نيويورك. حيث قال حينها: "إنها حرب على الإسلام" ووصفها بالصّليبية. وبوش بحسب مجلّة دير شبيغل الألمانية وما جاء فيها أنّه "أصبح واحدا من السّتين مليون أمريكي الذين يؤمنون بالولادة الثّانية للمسيح".

أما في عام 1980، صرّح الرّئيس الأمريكي "ريغان" في مقابلة متلفزة، فقال: "إنّنا قد نكون الجيل الذي سيشهد معركة هرمجدون". وهرمجدون بحسب مفهومهم التوراتي هي المعركة الفاصلة بين الخير والشرّ، أو كما يزعمون بين الله والشّيطان، وتكون على إثرها نهاية العالم.

كما أنّ السّيناتور الأمريكي "ليندسي غراهام" قال في تعليقه على الحرب على غزّة: "نحن في حرب دينية هنا، أنا مع إسرائيل، قوموا بكلّ ما يتوجّب عليكم القيام به للدّفاع عن أنفسكم، قوموا بتسوية الأرض".

وممّا سبق نخلص إلى نتيجة بالغة الأهمية هي أنّ اهتمام الولايات المتّحدة الأمريكية بالدّين هو نتيجة السّيطرة "الصّهيونية المسيحية" على السّاسة الذين يؤمنون بتدبير الأمور التي من الممكن أن تعجّل بعودة "مسيحهم المنتظر" والسّيطرة على العالم. وهؤلاء السّاسة يعتبرون ما يقومون به تجاه دولة الاحتلال على حدّ زعمهم "محرّكا إلهيا".

ولا يختلف بايدن عن نتنياهو وبقية دول الشّيطان، فالكلّ يجمعهم اهتمام واحد. فمن منّا ينكر هدف ما يردّده بايدن ونتنياهو وبقية دول الشّيطان من أنّ "غزّة وحماس يشكّلان خطرا على دولة الاحتلال ودول الغرب". فبنيامين نتنياهو استدعى في بداية حربه ما يسمّى بـ"نبوءة إشعيا" التي تُذكّر بما فعله "العماليق" ببني "إسرائيل". والمتطرّفون من اليهود ينادون من قبل 7 أكتوبر بهدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل المزعوم، وقد زادت مطالباتهم بعد الحرب. و"فتيان التّلال" المستوطنون المتطرّفون يقتحمون بشكل متكرّر ساحات المسجد الأقصى في مسيرات أعلامهم ويشتمون رسولنا الكريم محمد صلّى الله عليه وسلّم.

كما أنّ التّطهير العرقي الدّيني عن طريق تدمير المساجد في غزّة بدعوى أنّ حماس حوّلتها إلى مخازن للأسلحة لا يخرج عن كونه شحنا دينيا للجندي اليهودي.

وكلّما تعمّقت هذه الحرب على غزّة كلّما توضّحت المسارات الغامضة لاستمرارها بالرّغم من كلّ ما تكبّدته دولة الاحتلال والولايات المتّحدة الأمريكية من خسائر، إلّا أنّها لا تتوقّف وجميع مفاوضاتها كاذبة.

الحرب على غزّة: من حفر حفرة لغيره وقع فيها

لقد شكّل العدوان الدّموي على غزّة 2023-2024 رافعة ودافعا للتحوّلات في العالم الغربي بسبب انهيار "الهاسبارا" التي طالما عوّلت عليها دولة الاحتلال هناك.

"الهاسبارا" سياسة تتّبعها دولة الاحتلال ضمن دبلوماسيتها الخارجية، وتعني "الشّرح" بالعبرية. وعن طريقها يتمّ توظيف ناطقين رسميّين للتحدّث وإبراز نقاط تحدّث بهدف إبقاء صورة دولة الاحتلال ضمن صورة الضّعيف المسكين المستهدف من قبل ما تطلق عليه الدّولة "الإرهاب" (وتقصد المقاومة الفلسطينية وبقية محاور المقاومة). كما تستخدمها لتوضيح وجهة نظر الحكومة في مواجهة الصّحافة السّلبية ومواجهة ما تعتبره نزع الشّرعية عنها، وشرح سياساتها وتبرير أفعالها الإجرامية تجاه الشّعب الفلسطيني. وتعدّ هذه السّياسة إحدى جبهات الحروب اليهودية.

واليوم في حربها على غزّة تلجأ دولة الظّلم إلى استخدامها، حيث نشرت الكثير من الأخبار الزّائفة والمضلّلة في محاولة منها لربط المقاومة الفلسطينية بالإرهاب وكسب تعاطف دولي. فادّعت فيما ادّعت زورا وكذبا أنّ المقاومة يوم 7 أكتوبر قامت بقتل 1200 مستوطن. كما اتّهمتها بقطع رؤوس الأطفال ثمّ حرق جثثهم، واغتصاب النساء.

غير أنّ صحفهم العبرية كشفت عن العدد الحقيقي للقتلى، بل أنّ طائرات جيش الاحتلال هي من قتلت مستوطنيها، كما تمّ الكشف عمّا قامت به دولة الاحتلال من فبركة لصور الأطفال عن طريق الذّكاء الاصطناعي. وفي كلّ مقال يطالعنا في الصّحف العبرية، نجد كاتب المقال وقد تطرّق إلى ذكر عملية 7 أكتوبر

وكال الاتّهامات للمقاومة وما قامت به، وذكر الرّقم المزيّف لعدد القتلى في محاولة لكسب التّعاطف العالمي. إلّا أنّ هذه الحرب كشفت الحقائق وأزالت القناع عنها، ما أدّى إلى انهيار هذه السّياسة كما ذكرت في بداية المقال.

وكان الانهيار الأبرز في العلاقات الثّنائية بين دولة الاحتلال ومختلف الدّول الأوروبية حين اعترف بعضها بالدّولة الفلسطينية، حيث يعتبر هذا عملا مناهضا لدولة الاحتلال. والضّربة التي وجّهت لدولة الاحتلال تكمن في أنّ الدّول التي اعترفت بدولة فلسطين حول العالم كانت بقيادة دول غربية ديمقراطية. أضف إلى ذلك إعرابها عن دعمها للإجراءات القضائية ضدّ دولة الاحتلال في لاهاي. كما استدعت بعضها سفراءها من دولة الاحتلال وقطعت علاقاتها معها، ومن هذه الدّول بلجيكا وبوليفيا والبرازيل وتشيلي والمكسيك وجنوب أفريقيا، والقائمة تطول. ومن حفر حفرة لغيره وقع فيها ... فدولة الاحتلال التي خنقت وعزلت وحاصرت، تقع اليوم في حفرة أعمق وأصعب من التي حفرتها لغيرها.

الحرب على غزّة: ضعوا الحذاء في فمكم واخرسوا

يطالعنا مقال نُشر بتاريخ 12 حزيران 2024 على صفحات العبرية "تايمز أوف إسرائيل" بعنوان "السّنوار يعتبر عدد القتلى المدنيّين المرتفع في غزّة تضحية ضرورية". والمقال بقلم طاقم نفس الصّحيفة المذكورة. وممّا جاء في مقدّمته نقرأ ما يلي: "أصرّ زعيم حركة حماس يحيى السّنوار على أنّ دماء المدنيّين في غزّة هو تضحية ضرورية ستؤدّي إلى تحرير فلسطين، وفقا لتقرير نشر في وقت متأخّر من يوم الإثنين. ممّا يعزّز الاتّهامات بأنّ الحركة تعمّدت تعريض سكّان غزّة للأذى خلال أشهر الحرب المدمّرة على غزّة".

المدقّق في الفقرة السّابقة لن يشكّ للحظة في نوايا العدوّ من تحريض لأهل غزّة على قائد المقاومة السّنوار وتأليبهم عليه من خلال اتّهامه واتّهام الحركة بأنّهم المتسبّب الأوّل في كلّ ما حصل من إبادة وتهجير وتجويع وغيرها من المآسي والمصائب، في محاولة لإلصاق إرهابهم في ظهر غيرهم. بل وتعدّى الأمر بكاتب المقال إلى محاولة زرع الفتنة بين قادة الحركة ظانّا أنّ أحدا منهم سوف يلتفت لتفاهاته. وهنا نقرأ مما جاء في نفس المقال الآتي: "وفي حديث مع زعيم حماس السّياسي إسماعيل هنية بعد مقتل ثلاثة من أبنائه وأربعة من أحفاده في غارة جوّية شمال غزّة، أخبره السّنوار أنّ مقتلهم إلى جانب مقتل سكّان غزّة الآخرين سيبثّ الحياة في شرايين هذه الأمّة، وسيدفعها إلى الارتقاء إلى مجدها وشرفها".

والمطالع للمقال إلى النّهاية سيجده يغصّ بكيل الاتّهامات على الحركة وقادتها، ومنها عرقلة المفاوضات بل والحثّ على استمرار الحرب لتحقيق مكاسب أكبر، على حدّ زعمهم.

كما يتّضح خبثهم من خلال تركيزهم على سلاح المقاومة الذي تتمنّى أن تتخلّص منه وتطالب بنزعه في اليوم التّالي للحرب. فيقول كاتب المقال بأنّ السّنوار صرّح أنّ "حماس لن تسلّم أسلحتها أو توقّع على اقتراح بطلب ذلك". وهنا نردّ على العدوّ فيما يخصّ ما ادّعى كاتب المقال أنّه صدر عن السّنوار وعدم مبالاته بالشّهداء، بأنّ الشّهادة على تراب فلسطين وأبواب القدس هي حلم أيّ مسلم، فكيف وإن كان فلسطينيا؟

فهذا هو الطّفل ابن الثّالثة عشر محمد أبو عاصي، الذي ودّع أمّه وكان ذلك وقت انتفاضة الأقصى قائلا: "أنا ذاهب لأستشهد". وركب سيارة الأجرة وطلب من سائقها توصيله إلى ميدان الشّهداء. وعندما سأله السّائق: هل تريد أن تستشهد؟ أجابه الطّفل بكلّ عنفوان الرّجولة: نعم. وقد حصل ما أراد وما سعى إليه.

فمن علّم محمد أبو عاصي عشق الشّهادة وأسباب طلبها وهو مثال من آلاف فعلوا ما فعل؟ من علّمهم أن يحلموا بها؟ من علّمهم أنّ الأقصى خطّ أحمر؟ وما الذي يدفعهم للاستشهاد من أجله؟ إنّه الإسلام، وارتباطهم به. إنّها العبودية التي مؤدّاها الحرية. فعباد الله وحدهم الأحرار في هذا العالم. والمسجد الأقصى مبارك، ومبارك ما حوله. وفلسطين كلّها مباركة، حبّها والدّفاع عنها من العبادة، لذلك قدّمت الأمّة عبر التّاريخ الإسلامي الشّهداء في سبيل تحريرها، ولا تحرير من غير شهداء ودماء، فالقائد يحيى السّنوار لم يأت بشيء جديد. وقد قالوها أهالي الشّهداء ولا زالوا يردّدونها: "إنّنا وأولادنا مشاريع شهادة على طريق تحرير فلسطين".

وهنا يلزم أولئك الفشلة من عدوّ الاحتلال أن يضعوا حذاء السّنوار الذي ادّعوا سابقا أنّهم عثروا عليه في فمهم ويعضّوا عليه جيّدا قبل أن يقدموا على تأليب أهل غزّة على مقاومتهم، لأنّ أهل غزّة لا يلتفتون لترهاتكم، وهم مع هذه المقاومة التي تدافع عن حقوقهم المسلوبة منذ عقود.

الحرب على غزّة: "مجموعة السبع" ومفاوضات "جو بايدن"

لماذا تؤيّد "مجموعة السبع" المقترح الذي طرحه الرّئيس الأمريكي "جو بايدن" بشأن وقف إطلاق النّار في غزّة، وتدعو حماس إلى قبوله؟ ولماذا يعيد زعماء هذه المجموعة التّأكيد على دعمهم مسارا موثوق باتجاه سلام يؤدّي إلى حلّ الدّولتين؟

قبل الإجابة على السّؤالين المطروحين أعلاه، لنتعرف على "مجموعة السبع".

مجموعة الدّول الصّناعية السبع عبارة عن ملتقى سياسي حكومي دولي يضمّ الولايات المتّحدة الأمريكية، المملكة المتّحدة، كندا، فرنسا، ألمانيا، إيطاليا، واليابان. نشأت مجموعة الدّول الصّناعية السّبع في العام 1973 إثر اجتماع خاصّ بوزراء المالية، وأصبحت منذ ذلك التّاريخ ملتقى رسميا بارزا لمناقشة وتنسيق الحلول المتعلّقة بكبرى القضايا العالمية، خصوصا في ميادين التّجارة، والأمن، والاقتصاد، والتغيير المناخي.

وتستأثر هذه المجموعة منذ العام 2018 على نسبة تقارب 60% من صافي الثّروة العالمية. ولا تعتبر المجموعة منظّمة دولية بل منتدى غير رسمّي ولا يمكنها اتّخاذ قرارات ملزمة قانونيا، غير أنّ مواقفها لها وزن سياسيّ كبير.

وبالعود إلى السّؤالين المطروحين وأسباب انخراط "مجموعة السّبع" في إنجاح المفاوضات التي قدّمها "جو بايدن"، فإنّنا نستطيع القول بأنّ الإجابة تكمن في تعزيز نفوذها ونفوذ الشّريك الأقوى الولايات المتّحدة الأمريكية خاصة في المشروع الأمريكي "مشروع الممرّ البرّي والبحري". حيث يستمدّ هذا المشروع قوّته من أربعة منابع رئيسية.

المنبع الأوّل يكمن فيما أطلق عليه اتّفاقيات إبراهيم للسّلام التي لم تعد تخفى على أحد.

أمّا المنبع الثّاني فهو التّجمّع الاقتصادي الاستراتيجي الرّباعي للشّرق الأوسط، الذي يضمّ الولايات المتّحدة والهند والإمارات ودولة الاحتلال، وتهدف هذه التّجمعات إلى استمرار الهيمنة الأمريكية على العالم وعزل الصّين.

والمنبع الثّالث عبارة عن مبادرة عنوانها "الشّراكة من أجل البنية التّحتية والاستثمار العالميين" باستثمارات كلّية تصل إلى 600 مليار دولار، وهي المبادرة الأميركية التي تبنّتها "مجموعة السّبع " الصّناعية الرّئيسية عام 2021، وتمثّل الرّد الغربي على مبادرة "الطّوق والطّريق" التي أطلقتها الصّين عام 2013 في شأن تنمية البنية الأساسية التي تربطها بالعالم. والمبادرة الأمريكية هي مشروع يربط جنوب آسيا وأوروبا عبر الخليج العربي والشّرق الأوسط من خلال خطوط السّكك الحديدية والنّقل البرّي في منافسة واضحة لمبادرة "الطّوق والطّريق". كما يربط المشروع الأمريكي الهند بالشّرق الأوسط وتحديدا بدول الخليج العربي بحريا وهذا يوصف بالخطّ الشّرقي. أمّا الخطّ الشّمالي فإنّه يربط دول الخليج العربي بالأردن ودولة الاحتلال عن طريق السّكك الحديدية، ومن دولة الاحتلال يتمّ الرّبط بحرا بالسّواحل الجنوبية لأوروبا وتحديدا فرنسا وإيطاليا، ومنها إلى دول وسط أوروبا وشمالها وغربها عن طريق السّكك الحديدية.

ولنضع الأهمية الاقتصادية التي يتبجّح بها واضعوا المشروع جانبا. ونلتفت إلى الأهمية السّياسية من وجهة نظر الولايات المتّحدة ودولة الاحتلال، حيث أنّ هذا المشروع يعمل على تسريع وتيرة التّطبيع الذي تسعى إليه دولة الاحتلال مع دول الخليج. كما يعتقد بعض المحلّلين السّياسيين أنّ هذا المشروع يستغلّ مدينة "نيوم" السّعودية الجديدة، والتي يخطّط لها أن تكون مركزا لجذب الاستثمارات العالمية في مشروعات الطّاقة المتجدّدة والهيدروجين النّظيف.

والجدير بالذّكر أنّ البعض يتوقّع أنّ هذه المدينة أعدّت ليتجمّع بها 9 مليون يهودي حيث تعتمد على الذّكاء الاصطناعي، وهي أشبه بمدينة العجائب. والمدينة ضمن المسار الإبراهيمي.

وهذا يقودنا للمنبع الرّابع الذي يقوّي المشروع الأمريكي سابق الذّكر، والذي يكمن في تطبيع العلاقات بين السّعودية ودولة الاحتلال.

وقد أوقف طوفان الأقصى يوم 7 أكتوبر التّقدم في مثل هذا المشروع بل وتجميده فعليا، وهذا يمثّل انتكاسة لاستراتيجية الولايات المتّحدة الأمريكية. لذلك نجد مجموعة السّبع تعقد القمّة تلو الأخرى منذ بداية الطّوفان في سبيل إنقاذ المشروع الذي يصبّ في مصلحتها إلى جانب مصلحة الولايات المتّحدة، والذي كان سيغيّر وجه الشّرق الأوسط.

الحرب على غزّة: النّابلسي ورفح درس لا ينسى

تعدّ الكمائن من العمليات الجريئة والنّوعية التي تميّزت بها كتائب القسّام. ومن المعروف بأنّ هذا النّمط من العمليات يترك للمقاتل الحرّية الكبيرة في التّحرّك، بالإضافة إلى مفاجأة العدوّ وتوجيه الضربة له.

ولا بدّ لأيّة عملية من هذا النّوع، مهما كان مستواها، بتوافر ثلاثة متطلّبات حرص القسّاميون دائما على تحقيقها. منها توفير تغطية كافية لأنّ عصب الكمين هو المباغتة، ومنها أيضا تأمين خطّة انسحاب، وكذلك مكان لإعادة التّجمّع.

وقد نفّذت كتائب القسام خلال اليومين الماضيين كمينين مركّبين نوعيّين. كمين مفرق النّابلسي جنوب غرب مدينة غزّة بتاريخ 15 حزيران 2024، وقامت الكتائب في هذا الكمين بتفجير حقل ألغام فور وصول آليات للعدوّ، في الوقت الذي أطلق فيه مقاتلون آخرون قذائف الهاون على قوّات أخرى وصلت لمكان الكمين.

وجاءت عملية كمين مفرق النّابلسي بعد ساعات من كمين مركّب للقسّام أيضا في تلّ السّلطان غربيّ رفح جنوبي القطاع ضدّ آليات جيش العدوّ، حيث استهدفت جرّافة من نوع "دي 9" بقذيفة الياسين 105، وأوقعت طاقمها بين قتيل وجريح. وفور وصول قوّة الإنقاذ استهدف القسّام ناقلة جند من نوع "النّمر" بقذيفة الياسين 105، ما أدّى إلى تدميرها ومقتل من فيها.

ونستطيع القول أنّ الأهمية التي اكتسبتها عملية كمين رفح ومفرق النّابلسي والآثار التي خلّفتها، لا تكمن فقط في عدد القتلى والإصابات التي تكبّدها جيش الاحتلال، ولا لكون القسّاميون تمكّنوا من الانسحاب، بل تكمن في فشل الإجراءات العسكرية لجيش الاحتلال في الحدّ من تحرّكات المقاومة ونشاطها في مناطق يدّعي أنّه يسيطر عليها.

والأمر الآخر الذي أثبتته العمليّتان، أنّ المقاومة متقدّمة على استعدادات جيش الاحتلال وآلته العسكرية، والأهمّ على استخباراته المتطوّرة. كما أنّ العمليّتين اكتسبتا أهمّيتهما كونهما اتّسمتا بالتّخطيط الدّقيق والجرأة في التّنفيذ. كما تميّزتا بدقّة اختيار الأهداف وإصابة هذه الأهداف من الضّربة الأولى. وهذا كنتيجة لما قام به القسّاميون من تجميع المعلومات الاستخباراتية الضّرورية لكلتا العمليّتين كما ذكرت سابقا.

ومن نتائجهما نزع الهيبة التي طالما تباهت بها دولة الاحتلال، بل وحرق الأسطورة التي تمجّد قوّة هذا الجيش وأنّه الجيش الذي لا يهزم. اليوم هزم وغدا ما بين كسيح وجريح ومريض نفسيا ومتمرّد يأبى الرّجوع إلى غزّة، غزّة التي رأى فيها بأمّ عينيه الرّعب. غزّة عرين الأسود التي لا تلين ولا تهزم بأمر الله.

اليوم جيش الاحتلال لا هيبة له، عار من أسطورته، فقد ثقة جمهوره، بكى وصرخ كطفل يستيقظ من نومه وقد أرعبه كابوس ما. المقاومة اليوم هي هذا الكابوس. كمائن المقاومة جميعها دروس واضحة لإدخال الرّعب في هذا الجيش الذي لا يتقن سوى القتل وارتكاب المجازر، بأنّ كلّ شبر في غزّة قنبلة موقوتة ستنفجر في أيّ وقت تطأه آلياتهم وأقدام جنودهم.

الحرب على غزّة: اللّيل في غزّة مختلف

اللّيل في غزّة وحش مفترس، ينهش طمأنينة الأطفال والكبار ويسلب النّوم من عيونهم. ليل غزّة يخلو من أيّ شيء سوى صوت القصف والانفجارات التي تنذر بمجزرة تحمل رائحة الدّم والأشلاء والجثث. اللّيل في غزّة يحمل بين طيّاته حالات من الهلع والقلق لسكّان غزّة الذين يفترض أنّهم آمنون.

ما يلفت في هجمات جيش الاحتلال الدّموية أنّها تحصل وتتركّز في ساعات متأخّرة من اللّيل وساعات الفجر الأولى، حيث الأسر قد غلبها النّوم في منازلها لمن لا زال لمنزله جدران، أو أولئك الذين تحوّلت منازلهم إلى خيام في مخيّمات النّزوح. وبشهادات العديد من سكّان غزّة قالوا أنّ "اللّيل هو خوف شديد ورعب وانتظار الأجل، فلا أحد يمتلك اليقين أنّه سيبقى حيّا حتّى طلوع الشمس". هذه الشّهادة من ضمن مئات الشّهادات التي لم يطلقها أصحابها عن عبث أو أنّها مجرّد تكهّنات قد يطلق عليها البعض يائسة وعارية من الصّحة، بل هي شهادات صادقة، فكم من المرّات داست جنازير دبّابات الجيش الظّالم خيام النّازحين وهم نيام؟ وكم من المخيّمات هوجمت بقصف طائرات غادرة فحرقت الخيم بأهلها أو ردمت جدران المنزل على رؤوس ساكنيه؟

هذه الشّهادات صادقة صدق أصحابها وليست مجرّد هلوسات تخرج منهم. بل إنّها الحقيقة التي تؤكّد النّية الخبيثة لمرتكبي جرائم الإنسانية من جيش الاحتلال، خفافيش اللّيل ومن يدعمهم ممّن ولغت أفواههم بدماء الشّهداء، في سعي متعمّد منهم لإيقاع أكبر الخسائر البشرية، خاصّة الأطفال مقاتلو المستقبل، والنّساء حاضنات هؤلاء المقاتلين. مع العلم أنّ العدالة تقتضي ومنذ بداية الحرب على غزّة ألّا يترك المدنيّون لمواجهة الجريمة دون حماية، خاصّة ما

تسمّى "المحكمة الجنائية الدّولية"، من أجل تحريك المسؤولية الجنائية ضدّ دولة الاحتلال.

لكن فلسطين قبل قرن، وغزّة اليوم أثبتت أنّه لا وجود للعدالة الأرضية، فالحماية التي قرّرها القانون الدّولي العاجز من استهداف المدنيّين والأعيان، وحظر العقوبات الجماعية وغيرها، لا تنطبق على الفلسطينيين. وقد داست أقدام دولة الاحتلال هذا القانون وعاثت فسادا في غزّة فأبادت واعتقلت وهجّرت وحاصرت وجوّعت.

وعودا إلى الهجمات اللّيلية، نذكر بعضا من المجازر التي ارتكبتها دولة الاحتلال منذ بداية حربها الغاشمة على غزّة. فمن منّا سينسى مجزرة مستشفى المعمداني التي نفّذها سلاح الجوّ حينما أغار على المستشفى الواقع في حي الزّيتون جنوب مدينة غزّة في ساعات اللّيل من يوم 27 أكتوبر 2023، حيث ارتقى خلالها أكثر من 500 شهيد ومئات الإصابات.

ولن ينسى من تبقّى من أطفال مجزرة مخيّم المغازي بمحافظة دير البلح قبيل الواحدة صباحا من يوم الخامس من نوفمبر 2023 عائلاتهم التي قتلتها طائرات الاحتلال في منازلهم فارتقى خلالها حوالي 50 شهيدا. ولا من نجا من عائلة القطراوي سينسون شهداءهم ال 12 يوم 2 نوفمبر 2023 الذين ارتقوا حينما أغار سلاح الجوّ على منزلهم خلال السّاعات الأولى من ليل الخميس.

أمّا مجزرة رفح عشية السّادس والعشرين من مايو 2024 حوالي التّاسعة مساء، لن ينساها العالم أجمع. هذه المحرقة البشعة التي ارتكبها جيش الاحتلال حينما شنّت مقاتلاته الحربية فطالت البركسات التي تأوي نازحين شمال غرب رفح، فارتقى خلالها عشرات الشّهداء بأبشع أنواع القتل وهو القتل حرقا. ولن ننسى الطّيران الذي عاود بعد المحرقة بدقائق بالإغارة على خيام النّازحين في الشّمال الغربي لرفح قرب مخازن الأونروا وتسبّب بارتقاء العشرات من الشّهداء.

ولن ينسى أهل غزّة وأطفالها أنّ عدوًّا قلب ليلهم الهادئ إلى برميل بارود افترس أحلامهم وسرق أحبابهم.

الحرب على غزّة: أوهن من بيت عنكبوت

أذاقت المقاومة الفلسطينية حكومة نتنياهو طعم الذّل والهوان بقتل المزيد من جنوده وضبّاطه، والتّسبّب في إعاقة أكثر من 70 ألف بحسب القناة "السابعة الإسرائيلية" النّاطقة باسم المستوطنين في الضّفة الغربية المحتلّة سواء على مستوى الإعاقة الجسدية أو النّفسية، من خلال العمل ضمن أقصى الظّروف وأقساها، وفي أقصى حالات الاستعداد والتّعبئة لدى العدوّ، واستخدام أنماط جديدة وأساليب التّكتيك المناسبة للمكان والزّمان. فكانت نتيجة ذلك عجز جيش الاحتلال عن تفكيك الخلايا المنفّذة بالرّغم من الأساليب التي اتّبعتها من تدمير لبعض الأنفاق وإغراق بعضها الآخر بالغازات السّامة.

غير أنّ الذّل الأكثر مرارة الذي أذاقته المقاومة لحكومة بنيامين نتنياهو يكمن في تفاقم الانقسامات السّياسية الدّاخلية التي تشهدها حكومته، خاصّة الموضوع الأطول والأكثر جدلا في سياسة دولة الاحتلال منذ قيامها، وهو موضوع "الحريديم" وإلزامهم بالخدمة بين صفوف الجيش. إلّا أنّهم هدّدوا بمغادرة البلاد إن هم أجبروا على الخدمة. ولا زال الجدل قائما إلى اليوم وقد قاربت الحرب على شهرها العاشر.

كما جرى الجدل مؤخّرا حول مشروع تمّ طرحه من قبل نتنياهو ينظّم تعيين حاخامات من "الحريديم" في السّلطات المحلّية. فحسب مقال نشر في "تايمز أوف إسرائيل" بتاريخ 19 حزيران 2024، أنّ التّوتّرات والفوضى تفاقمت في الائتلاف الحاكم بعد أن اتّهم حزب "الليكود" زعيم حزب "عوتسما يهوديت" إيتمار بن غفير بتسريب أسرار دولة. وبحسب المقال، جاء الاتّهام بعد نشر تقارير تفيد بأنّ رئيس الوزراء نتنياهو عرض على بن غفير إحاطات أمنية حسّاسة مقابل دعمه

"لمشروع قانون رئيسي"، المتعلّق بتعيين الحاخامات، غير أنّ المشروع سقط. وهنا هدّد الحريديم بالانسحاب من الائتلاف بعد سحب نتنياهو هذا المشروع من جدول أعمال الهيئة العامة للكنيست بسبب منتقدي ومعارضي المشروع لأنّه ينصّ على "تعيين حاخامات في الأحياء، ما سيؤدّي إلى توسيع الحاخامية الكبرى ووزارة الخدمات الدّينية بشكل كبير في تعيين حاخامات البلديات والمجالس المحلّية".

وبحسب الصّحيفة يقول منتقدو المشروع أنّه سيفيد حزب "شاس" الذي هدّد بإسقاط الحكومة إذا لم يتمّ تمرير المشروع. ما سيؤدّي إلى انهيار حكومة نتنياهو؛ وذلك لأنّه لن يكون هناك ائتلاف بدون الأحزاب الحريدية. ومنه فمن المرجّح أن يتمّ إعادة المشروع إلى جدول الأعمال وسط المنتقدين والمعارضين لحكومة الليكود.

وهذا انقسام من انقسامات كثيرة استغلّت نتيجة الحرب التي لم تحقّق أهدافها كذريعة للحصول على مكاسب سياسية في الدّولة المهزومة. انقسامات من شأنها أن تقود الدّولة إلى الغرق أكثر في بحر الانقسامات. فبئست دولة تأكل أبناءها ونفسها. وصدق من قال عنها: "أوهن من بيت عنكبوت".

الحرب على غزّة: قطار آخر المحطّات

يقول "بنيامين نتنياهو" بعد أن شدّد على زيادة تسليم الأسلحة الأمريكية، أنّ هذا سيساعد على إنهاء الحرب بسرعة أكبر: "خلال الحرب العالمية الثّانية قال تشرشل للولايات المتّحدة: أعطونا الأدوات وسوف نقوم بالمهمة. وأنا أقول: أعطونا الأدوات وسننهي المهمة بشكل أسرع بكثير".

نتنياهو لم تكفه كلّ الأسلحة التي تجاوزت تكلفتها المليارات المقدّمة من الدّول الدّاعمة على رأسها الولايات المتّحدة الأمريكية ليحقّق أهدافه وينهي الحرب. ولا زال يطلب المزيد مستدلّا على ما قاله تشرشل، مع علمه بأنّه سيفشل لو جمعوا له أسلحة العالم أجمع.

الدّولة التي تبجّحت بأنّها لا تقهر منذ قيامها ظلما، لم تكن لتصمد لولا دعم الولايات المتّحدة. وقول نتنياهو السّابق يعكس الاعتماد الكامل لدولة الاحتلال على الولايات المتّحدة في استمرارها في الحرب على غزّة. فقد تسلّمت هذه الدّولة من الأخيرة منذ بداية الحرب عشرات الآلاف من القنابل الخارقة للتّحصينات، والطّائرات والصّواريخ وغيرها من الأسلحة والآليات، بالإضافة إلى الجنود والمرتزقة. كما أنّها تعتمد عليها في الحماية من الصّواريخ، والحصول على المعلومات الاستخباراتية الدّقيقة. والأهمّ الحماية من القرارات الدّولية من خلال مجلس الأمن ومحكمة العدل الدّولية والمحكمة الجنائية التي تسيطر عليها الولايات المتّحدة الأمريكية بالكامل.

ومع كلّ تلك التّحصينات والدّعم العسكري والسّياسي الأمريكيين، إلّا أنّ جيش دولة الاحتلال فشل في تحقيق أهداف الحرب التي حدّدها نتنياهو في بداية الحرب. فلولا ذلك الدّعم غير المشروط لما أمكن لدولة الاحتلال الصّمود ليوم

واحد، ولما ارتكبت عصابات هذه الدّولة المتمثّلة بجيشها الدّموي ما ارتكبت من جرائم في غزّة والضّفة الغربية.

وقد أكّدت الولايات المتّحدة دعمها الكامل لدولة الاحتلال منذ بداية الحرب، عندما ذكر وزير خارجية الولايات المتّحدة "بلينكن" بأنّ "باراك أوباما" وقّع عام 2016 اتّفاقا مع "إسرائيل" لتزويدها بـ 3,8 مليار من الدّولارات من المساعدات العسكرية سنويا". كما ألقى رئيس الولايات المتّحدة الأمريكية "جو بايدن" خطابا بعد عملية 7 أكتوبر وتعهّد فيه "بتقديم الدّعم الكامل "لإسرائيل" الحليف الرّئيسي لواشنطن في الشّرق الأوسط".

واليوم بعد أن نكّل محور المقاومة الإسلامية لحزب الله في الشّمال بدولة الاحتلال، يصرّح "نتنياهو" بأنّه سيخوض الحرب ضدّ الحزب. وهنا صرّحت قناة "سي إن إن" الأمريكية أنّ "إدارة بايدن أبلغت "إسرائيل" أنّه في حال اندلعت حرب شاملة بين حزب الله و"إسرائيل" فإنّ إدارة بايدن ستدعم "إسرائيل" بشكل كامل".

وبعد كلّ هذا الدّعم لهذه الدّولة الظّالمة وفشل جيشها الذي لم ينجح بعد أكثر من ثمانية أشهر سوى بارتكاب المزيد من المجازر وخسارة آلاف من جنوده وضبّاطه أمام مقاومة من أبطال يرتدون (التيشيرتات والصّنادل والشّباشب البلاستيكية)، كيف سينتصر في الشّمال؟ بل كيف سيصمد هذا الجيش المترهّل المهزوم هناك؟ فها هو اللّواء احتياط "يسرائيل زيف" يصرّح بأنّ "الوضع العام في "إسرائيل" يزداد سوءا ... وهناك أزمة ثقة داخلية، "إسرائيل" في وضعها الحالي لا تملك القدرة على الصّمود لأشهر أخرى في ظلّ تدهور وضع الجيش".

ويبدو أنّ "بنيامين نتنياهو" يهلوس حينما يتحدّث عن اليوم التّالي للحرب على قطاع غزّة ويقول: "يجب نزع سلاح دائم لقطاع غزّة، إلى جانب ذلك يجب أن يكون حكم مدني ما في القطاع"، وهو الذي لا زال لا يعرف كيف يخرج من غزّة وقد غاص في وحلها. ثم يهدّد بنقل جبهة الحرب إلى الشّمال للقضاء على حزب الله،

حزب الله الذي يمتلك أضعاف ما تمتلكه حماس في غزّة كيف لنتنياهو بجيشه المترهّل أن يهزمه؟ وهنا نذكر ما نقلته وسائل إعلام عبرية عن نائب مستشار الأمن القومي السّابق "تشاك فريليتش" حيث قال: "كلّ الجولات مع حزب الله منذ التّسعينيات انتهت بشكل مخيّب (لإسرائيل)". وبهذا الشّأن نذكر تعليقا على فيديو انتقد حكومة الليكود التي تقود البلاد في قطار آخر المحطّات، ويقول التّعليق: "المطلة تحت نيران حزب الله مثل صيد البطّ، وعلى لسان منتقدي حكومة الليكود من اليهود: (الله يوخذ حكومة اليمين، حكومة نكرات وأصفار)".

الحرب على غزّة: أمريكا وأذنابها إلى الجحيم

بعد خروج الولايات المتّحدة الأمريكية كقوّة عظمى بعد الحرب العالمية الثّانية وزعيم لا منازع له، احتلّت السّياسة "الشّرق أوسطية" مكانة مهمة في سياستها الخارجية بسبب موقعه الجغرافي السّياسي الاستراتيجي وثروته النّفطية التي تشكّل حوالي 70% من احتياطي النّفط في العالم، والتّخوّف من نموّ التّيارات التّحرّرية، بالإضافة إلى خطر أيديولوجيات راديكالية مثل الوحدة العربية والخطر الإسلامي.

وقد اعتبر الرّئيس الأسبق للولايات المتّحدة الأمريكية "دواين أيزنهاور" الشّرق الأوسط بأنّه "البقعة الأكثر أهمية من النّاحية الاستراتيجية في العالم كلّه". ولأجل ضمان سيطرتها على هذه المنطقة فإنّنا نجد أنّ ثوابت السّياسة الاستراتيجية لها ظلّت محدّدة بناء على أسس مثل عدم السّماح بوجود قوّة أخرى منافسة لها في منطقة الشّرق الأوسط، والسّيطرة على منابع النّفط وممرّاته، والتّحكّم في التّطوّرات السّياسية والاقتصادية في المنطقة، والأهمّ ضمان أمن دولة الاحتلال وتفوّقها النّوعي. لذلك سعت إلى صنع نظام إقليمي جديد عن طريق سعيها إلى تطبيع العلاقات بين دولة الاحتلال ودول الطّوق ودول الخليج العربي، بالإضافة إلى دول غير عربية مثل تركيا وإيران وباكستان، في محاولة لطمس الهوّيات الموجودة وإعادة صياغتها وإيجاد هويات جديدة يكون العرب فيها أقلّية. وفي المقابل تصبح دولة الاحتلال كيانا طبيعيا ضمن هذا النّظام؛ وبالتّالي إضفاء الشّرعية عليها.

وقد بدأت الولايات المتّحدة الأمريكية بالفعل في تنفيذ هذا المشروع، ونجحت مع العديد من دول المنطقة حيث طبّعت دول عربية مثل الإمارات

والبحرين والمغرب ومصر و ... وصولا إلى السّعودية. وفي هذا التّوقيت جاءت عملية طوفان الأقصى بتاريخ 7 أكتوبر فقلّلت من سرعة قطار التّطبيع ظاهريا، غير أنّه من تحت الطّاولات لم يتوقّف.

الولايات المتّحدة الأمريكية لا تعنيها دولة الاحتلال إلّا لأنّها الشّوكة المغروزة في خاصرة المنطقة العربية، وأنّها تشكّل بالنّسبة لها المشروع الذي يفتّت ويقطع أوصالها وشعوبها من أجل الحفاظ على مصالحها وبقائها المسيطرة القوية؛ لذلك نجدها اليوم تسعى للقضاء على محاور المقاومة التي وحّدها الإسلام، أكثر من سعي دولة الاحتلال لذلك. فها هي حركة طالبان الأفغانية تطلب من إيران الجهاد ضدّ أمريكا وذيلها الصّهيوني. وبالفعل اجتمعت طالبان مع إيران وطرحت رغبتها في دخول الحرب مع حزب الله إن اندلعت الحرب في لبنان.

إنّ مثل هذه الخطوة تشكّل خطرا جسيما طالما أرعب الولايات المتّحدة والغرب بشكل عام. واستعداداتها اليوم ليست بهدف حماية نتنياهو وحكومته أو شعب الشّتات، إنّما خوفها اليوم يكمن في انتزاع تلك الشّوكة التي غرزتها مع دول الغرب في قلب أوطاننا، وبالتّالي انهيار مصالحها في المنطقة بالكامل. لأنّ نزع الشّوكة وانهيارها يعني القضاء على الأنظمة العربية الخائنة والمتواطئة وخروج الولايات المتّحدة الأمريكية من الشّرق الأوسط إلى اللّاعودة.

7 أكتوبر كان المبضع الحادّ الذي فتح الجرح ومهّد الطّريق لاجتثاث الشّوكة ومن زرعها ومن يحميها من الجسد العربي. أيزنهاور غادرت سواحل البحر الأبيض المتوسّط وأصيبت في مقتل بعد تعرّضها لصواريخ الحوثي، ورزفلت التي سترسلها الولايات المتّحدة لتحلّ محلّها ستغرق بإذن الله في بحر الصّحوة العربية. دولة الاحتلال ستزول وأمريكا ستخرج تجرّ أذيال الهزيمة والخيبة، وستأخذ معها أذنابها ... فإلى الجحيم.

الحرب على غزّة: اليوم لا سلام ولا استسلام

في 7 أكتوبر 1973 فوجئ "هنري كيسنجر" وزير خارجية الولايات المتّحدة الأمريكية بحجم الإنجازات التي حقّقها الجيشان المصري والسّوري في السّاعات الأولى للحرب. حيث اخترقت القوّات المصرية خط بارليف، والسّورية خط آلون في الجولان، بينما جيش دولة الاحتلال يشهد انهيارا غير مسبوق. وهنا كان همّ "كيسنجر" إنقاذ دولة الاحتلال والعمل على مساعدتها لاستعادة زمام الأمور، وتعديل الموازين العسكرية لصالحها. فقام بعرقلة ووقف أيّة محاولة لانعقاد جلسة لمجلس الأمن لأيّ قرار من شأنه أن يفضي إلى وقف إطلاق النّار قبل إعادة هيبة جيش الاحتلال، عن طريق إتمامه التّعبئة وبدء هجوم مضادّ وضمان تدفّق السّلاح الأمريكي بعد الخسارة المدوّية في فقدان مئات الدّبابات وعشرات الطّائرات خلال ساعات من بدء الحرب.

وبالفعل قام الرّئيس "نيكسون" الذي كان وقتها مشغولا بفضيحة "ووترغيت" بفتح مخازن الأسلحة وأمر بإقامة جسر جوّي لانتشال دولة الاحتلال من الهزيمة التي كانت حتمية لولا تدخّل الولايات المتّحدة بإدارة خبيثة من "كيسنجر" اليهودي الذي ظلّ يتلاعب حينها بالجميع لتأخير صدور قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النّار، إلى أن تمّ تغيير الوضع العسكري لصالح جيش الاحتلال من خلال إيجاد ثغرات عسكرية في الجبهة المصرية. فحصل من خلال ما ذكرنا على نصر لدولة الاحتلال واستعادة ماء الوجه.

بدأ بعدها "كيسنجر" جولاته المكّوكية لإقامة ما أسماه بـ"السّلام" من أجل حفظ أمن دولة الاحتلال وضمان تفوّقها على دول المنطقة. فكانت "كامب ديفيد"، وتلتها "وادي عربة"، ثمّ "أوسلو". ومن هنا فإنّ جولات "كيسنجر" كدسّ

السّم في العسل لم تأت بغير الشّر للشّعوب العربية عامّة والفلسطينيّين خاصّة. وكانت جميعها لصالح دولة اليهود، الأمّة التي ينتمي إليها، غير أنّه لم يصرّح بذلك علنا.

أمّا "أنتوني بلينكن" وزير خارجية الولايات المتّحدة، فقد كان موقفه واضحا وفاضحا من ناحية دعمه لدولة الاحتلال. فعندما قرّر زيارة الشّرق الأوسط بعد عملية 7 أكتوبر 2023، صرّح خلال مؤتمر صحافي مشترك مع رئيس الوزراء "بنيامين نتنياهو" حيث قال علنا ودون خجل: "أنا ممتنّ لأن أكون هنا في "إسرائيل" ... أتحدّث بشكل شخصي وأتيت كيهودي".

وقال تزامنا مع مجزرة جباليا: "إنّ الولايات المتّحدة تؤيّد "إسرائيل" في مواصلة الهجوم على قطاع غزّة حتّى تتوقّف حماس الفلسطينية عن تشكيل تهديد".

"بلينكن" كان يعطي الضّوء الأخضر ولا زال في كلّ زيارة له لدولة الاحتلال بارتكاب الإبادة الجماعية بحقّ المدنيّين. فعلى هامش زيارته للشّرق الأوسط بتاريخ 5 نوفمبر 2023، استمرّت المجازر بحقّ الفلسطينيّين حيث استهدف جيش الاحتلال المستشفيات وسيارات الإسعاف ومخيّمات اللّاجئين في عملية إبادة جماعية واضحة. وخلال زيارته الخامسة لدولة الاحتلال في إطار جولة شرق أوسطية بتاريخ 6 فبراير 2024 استقبله جيش الاحتلال بتصعيد جرائمه وارتكاب الإبادة الجماعية بحقّ المدنيّين، ومنع وصول الاحتياجات الإنسانية ومواصلة تدمير قطاع غزّة. أمّا في 20 آذار2024 خلال زيارته أيضا للشّرق الأوسط، فقد قام الجيش الفاشي بارتكاب 7 مجازر وحشية خلال 24 ساعة راح ضحيّتها عشرات الشّهداء والجرحى.

زيارات "بلينكن" للشّرق الأوسط جميعها تصبّ في مصلحة دولة الاحتلال ومحاولة الضّغط على حركة حماس للقبول بالمفاوضات التي تتناسب مع صنع

نصر لدولة الاحتلال. غير أنّه اليوم أمام مقاومة شرسة لا تفاوض إلّا بما يصبّ في مصلحة شعبها.

فلا سلام ولا استسلام، المقاومة الفلسطينية التي يحاول "بلينكن" نزع سلاحها وانتزاعها من غزّة بالقضاء عليها، أعجزتهم وأفشلت مخطّطاتهم. ونتيجة طوفان الأقصى لن تكون نسخة عن نتائج "حرب الغفران".

الحرب على غزّة: وانقرض الدّيناصور

حين ينزع الإنسان عقله ويضع مكانه عضلاته القوية، فإنّ من الطّبيعي أن تكون النّتيجة كارثية ومدمّرة. وحتما ستنقلب العلاقة بين البشر إلى ما يسمّى بـ"شريعة الغاب"، حيث تتحكّم غريزة الجوع للطّعام وغيرها من الغرائز بالحيوانات وتدفعها لاستخدام عضلاتها بهدف إسكات هذه الغرائز.

الولايات المتحدة وتابعها المحتلّ طبّقا هذه الشّريعة، فعطّلا العقل الذي خلقه الله لتمييزهما عن البهائم واعتمدا على عضلات قويّة كبديل عنه، فأصبحت مصدر التفكير والمكمن الذي تنطلق منه قراراتهما، حتّى أصبح تفكيرهما مرهونا باللّحظة، لحظة الغريزة التي تحرّكهما نحو المكاسب وممارسة الافتراس والولغ بدم الآخرين حتّى العظم.

هذه الولايات التي تمتاز بقصر عمرها الذي يزيد عن القرنين فقط، ظلّت خلال القرن التّاسع عشر منهمكة في صراعاتها الدّاخلية والأهلية وعمليات الضّم الإقليمي وغيرها، خرجت بعد الحرب العالمية الثّانية كأقوى دولة. فدخلت فيتنام من باب هذه القوّة التي أصبحت حكرا لها، لكنّها خرجت منها منهزمة. امتصّت صدمتها وتعافت بسرعة من عقدة الهزيمة. تدخّلت في منطقتنا وحاكت المؤامرات فيها، فأدخلت العراق في حرب طويلة مع إيران، وكانت حينها تمدّ كلا الدّولتين بالأسلحة. ثمّ دفعت العراق لدخول الكويت لاحتلالها ووعدت ألّا تتدخّل، لكنّها تدخّلت وأدخلت العراق مرّة أخرى في حرب كانت القاضية. وبقية القصّة معروفة، حين دخلت العراق بنفس غطرسة القوّة ولم تخرج منها إلّا بعد تمزيقها وزرع الفتنة فيها، والاستيلاء على خيراتها ونفطها.

هذه الدّولة الرّأسمالية التي تقوم على الطّبقية، تتغذّى منذ أكثر من قرن على نفط بلادنا باسم القوّة التي وصلت إليها وأصبحت متلازمة لا تفارقها، صنعت دولة طبق الأصل عنها وقاعدة بارزة من ضمن قواعد "عضلات" في منطقتنا لحماية مصالحها وإشباع غرائزها التي لا تشبع. فكانت فلسطين الضّحية والتّميمة الكاذبة، وكانت مشكلة يهود الخزر التي تذرّعت بها الولايات المتّحدة والصّهيونية لزرع قاعدة في قلب أوطاننا على شكل ديناصور.

اليوم دولة الاحتلال تعتبر الدّيناصور الصّغير والابن المدلّل للولايات المتّحدة الأمريكية، ووصل بها الدّلال أقصى حدوده فعاثت فسادا في غزّة والضّفة الغربية اعتمادا على العضلات التي تضخّمت على حساب العقل، فكبر الجسد وتقلّص الرّأس حتّى أصبحت دولة المسوخ الهمجية.

الولايات المتّحدة اليوم لو أرادت إنهاء الحرب في غزّة لأنهتها بكبسة زرّ، ولو أرادت إخراس "سموتريتش" الذي أطلق قطعان المستوطنين لحكم الضّفة الغربية لفعلت، غير أنّها لا تريد ولا ترغب في إنهاء هذه الحرب. هي تريد إنهاك غزّة ومقاومتها وسكّانها كما الضّفة الغربية أيضا، بغطرسة قوّتها، بعضلاتها. غير أنّه وعبر التّاريخ هناك قاعدة تقول بأنّ "من يعتمد على العضلات فإنّ نهايته ستكون عليها".

العضلات التي تعتمد عليها الولايات المتّحدة ودولة الاحتلال اليوم تُستنزف، محاور المقاومة تستنزفها وتزيد كلّ يوم من ترهّلها وعدم قدرتها على البقاء.

الدّيناصور سينقرض، وسيقول أهل غزّة وفلسطين ذات يوم ... كان بأرضنا ديناصور وانقرض.

الحرب على غزّة: أيّهما سيحسم نتيجة الحرب؟

يعتبر موقف الولايات المتّحدة الأمريكية الدّاعم لدولة الاحتلال من الثّوابت التي لا تتغيّر. وهو مكمّل لموقف بريطانيا، حيث تبلورت الفكرة الصّهيونية في المخطّطات الاستعمارية البريطانية في الوقت الذي كانت فيه قوّة "محمد علي" في مصر تتزايد. فرأت بأنّها لو استحدثت دولة يهودية في فلسطين فإنّها ستمثّل عنصرا أساسيا لمواجهة أيّة مخطّطات لتوحيد أيّ جزء من البلاد العربية وإجهاضها؛ لذلك كان الموقف البريطاني ثابتا في دعم صهاينة الشّتات، وظلّ ثابتا وداعما لها حتّى بعدما بدأت العصابات الصّهيونية بتنفيذ اغتيالات في صفوف ضبّاطها وجنودها على إثر استصدار الكتاب الأبيض عام 1939 للحدّ من الهجرة اليهودية.

وبعد انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين وولادة الدّولة اليهودية، جاء الدّور الأمريكي وإن كان هذا الدّور من الثّوابت الحاضرة دوما لهذه الدّولة حتّى من قبل قيامها وولادتها، ولا زال موقف الولايات المتّحدة الأمريكية ثابتا في تقديم الدّعم الكامل لها إلى يومنا هذا. وقد تناولت ذلك في عدد من المقالات السّابقة.

ولا أدلّ على ذلك من التّصريحات التي خرج بها رئيس الولايات المتّحدة الأمريكية "جو بايدن" ووزير خارجيّته "أنتوني بلينكن" في بداية الحرب على غزّة من دعم دولتهما لدولة الاحتلال سواء على المستوى العسكري أو الاقتصادي أو السّياسي.

واليوم والحرب قد دخلت شهرها التّاسع، نجد أنّ الولايات المتّحدة لا تتخلّى عن ذيلها بالرّغم ممّا ارتكبه من فظائع في قطاع غزّة، ومن قفزات متكرّرة من فوق أسيجة القوانين ومنظّمات حقوق الإنسان والمحاكم الدّولية بأنواعها.

وبالحضور الدّائم للفيتو الأمريكي يغدو كلّ شيء سهلا بالنّسبة لدولة الاحتلال، بل ويعطيها الضّوء الأخضر لارتكاب المزيد والمزيد من الانتهاكات والقتل باسم الدّفاع عن النّفس الذي ادّعت الولايات المتّحدة أنّها تؤيّده، وأنّ "إسرائيل" من حقّها أن تدافع عن نفسها!

لكن هذا الثّابت المتمثّل في الدّعم الكامل لدولة الاحتلال من طرف الولايات المتّحدة تحديدا يرتطم بثابت آخر وهو حقّ الشّعب الفلسطيني في مقاومة الاحتلال وداعميه ورفض ثوابتهم الظّالمة.

والثّابت الفلسطيني ليس وليد السّاعة، إنّما هو قديم قدم اغتصاب الأرض. ولو عدنا إلى تاريخ الثّورات الفلسطينية لوجدنا أنّها انطلقت في عام 1920 وامتدّت إلى يومنا هذا. فالمقاومة والثّورات ثابت من ثوابت الشّعب الفلسطيني التي لن يتنازل عنها حتّى تحرير فلسطين غير منقوصة شبرا واحدا.

واليوم في غزّة يتمثّل هذا الثّابت بالمقاومة الفلسطينية التي ومنذ السّابع من أكتوبر 2023 أخذت على عاتقها ألّا تتوقّف حتّى استعادة الحقّ الفلسطيني الذي يتعرّض منذ أكثر من سبعة عقود للانتهاكات. كما تكفّلت بإجهاض مخطّطات العدوّ التي من أخطرها هدم المسجد الأقصى بهدف بناء هيكلهم المزعوم مكانه.

وقد رأينا طوال أشهر الحرب أيّ الثّوابت هو الأقوى والأعتى، صاحب الأرض التي يعرفها ويعرف تفاصيلها كما يعرف خطوط كفّه، أم شعوب شتات الأرض؟ هنا فرضت المعركة رأيها، فقد رأينا قوّة المقاومة في الكمائن وعمليات القنص والأسر، وفي المقابل رأينا كيف يفرّ جنود العدوّ كالفئران من وجه نيران المقاومة. حتّى نجحت المقاومة في إدخال عدوّها حرب استنزاف صعبة ستأخذهم إلى الهاوية.

وبعد هذا، فأيّ الثّوابت هي الأقوى؟ وأيّها سيحدث التّغيير ويحسم نتيجة الحرب؟ وأيهما سيسقط خاصّة وقد أضيفت محاور جديدة تفرض ثوابتها على العدوّ وتشترط إيقاف ضرباتها بوقف إطلاق النّار في غزّة وإنهاء الحرب؟

الحرب على غزّة: سلاح عقيم؟

لجأت دولة الاحتلال منذ بداية حربها على غزّة بعد عملية السّابع من أكتوبر 2023 إلى تضليل شعبها وإيهامه بانتصارات وهمية لجيشها والتّقليل من قدرات المقاومة والسّخرية منها. فانطلقت التّصريحات على ألسنة قادة الجيش التي تؤكّد القضاء على معظم ألوية حماس زورا وبهتانا، ربّما لتحقيق انتصار ولو كان وهميا وزائفا.

غير أنّ الميدان له رأي آخر، فجنود وضبّاط الجيش يتعرّضون لصدمات نفسية قوية في هذا الميدان إثر مواجهتهم لمقاومة شرسة لا تخشى الموت بعكس ما روّجت لها دولتهم. لذلك فإنّ تلك الدّعايات والادّعاءات الكاذبة أتت بمفعول عكسيّ على جنودهم يتمثّل بإضعاف معنوياتهم وإرادتهم. وليس أدلّ على ذلك ممّا كشفته تقارير عبرية عن إصابة آلاف من جنود الاحتلال بأزمات نفسية خطيرة.

وأيّ جندي خاصّة في ميدان القتال، لا تكفيه القدرة على القتال للانتصار، وأعني امتلاكه المهارة واستخدام الأسلحة الحديثة بإمكانياتها الفنّية والتّكتيكية، فهو يعرف الأسلحة والمعدّات القتالية كالطّائرة والدّبابة وغيرها من الأسلحة المتنوّعة والحديثة، إنّما يجب امتلاك إرادة القتال.

والإرادة تختلف عن القدرة. ذلك لأنّ الإرادة ترتبط بالحالة النّفسية والمعنوية للمقاتل، وهي لا تقلّ أهمّية عن القدرة، فالقدرة شيء والإرادة شيء آخر. قد يكون المقاتل يمتلك القدرة لكنّه لا يمتلك الإرادة، والنّتيجة أنّ قتاله لن يكون فعّالا وحتما سيفقد بوصلة النّصر وتحقيق الأهداف، وهذا ما حدث لجنود الاحتلال.

ويشهد التّاريخ بأنّ ألمانيا احتلّت النّمسا دون أن تضطرّ لاستخدام السّلاح أو إطلاق ولو طلقة واحدة. بالرّغم من امتلاك النّمسا للمعدّات العسكرية والجيوش المدرّبة، إلّا أنّها كانت تفتقد ما هو أهمّ من هذه القدرات وهو الإرادة.

اليوم جيش الاحتلال يمتلك القدرات الهائلة سواء على مستوى المعدّات العسكرية المتطوّرة، أو على مستوى الجيوش المدرّبة التي جاءت لتقاتل إلى جانب جيش الاحتلال من الولايات المتّحدة وبريطانيا وغيرها من الدّول ومرتزقة العالم، إلّا أنّه يفتقد الإرادة للقتال، لذلك نجده والحرب في شهرها التّاسع على غزّة لم يحقّق أيّ هدف أو نصر. والسّبب أنّ معظم المقاتلين لا يتمتّعون بالقناعة ولا الإيمان المطلق بالأرض، وهو أساسي للقتال. فكيف للخزري والأمريكي ومرتزقة العالم أن يقاتلوا من أجل أرض لا تربطهم بها أيّة رابطة؟ ناهيك عن إرادة الحياة التي هي أقوى بالنّسبة لتلك الجيوش من إرادة القتال. بينما نجد المقاوم الفلسطيني يمتلك بالإضافة إلى القدرات القتالية، الإرادة التي تدفعه للقتال بثبات.

تلك الإرادة نابعة من السّعي إلى نيل إحدى الحسنيين، النّصر أو الشّهادة في سبيل الله، واستعادة الأرض وتطهير المقدّسات ورفع الظّلم عن شعب يتعرّض للقمع والتّنكيل ظلما منذ عقود. فهو يستأسد وهو يقاتل عدوّه، بعكس ذلك الذي يقاتل وهو يتشبّث بخيوط الحياة ويرهبه انقطاع أحدها.

الغريب اليوم أنّ "بنيامين نتنياهو" يهدّد باجتياح لبنان ويتوعّد بهزيمتها. فبأيّ جيش سيدخل؟ بجيشه المنهار معنويا وجسديا، والأهمّ فاقد الإرادة؟ يقاتل بمن؟ باحتياط يرفض الخدمة لأنّ غزّة ترهبه، أم بحريديم يرفض ترك المدارس الدّينية باسم توراتهم؟

بمن سيدخل لبنان وجيشه لم يحقّق شيئا في غزّة؟ والولايات المتّحدة الأمريكية بقيادة شياطينها التي ترسم لها من الزّخارف ما تتمنّاه وتتوهّمه، لمن

ترسل الأسلحة وأطنان المتفجّرات؟ لقتل الأطفال والنّساء والشّيوخ؟ ألا يعلم رأس الشّيطان وأعوانه بأنّ القدرة بلا إرادة، سلاح عقيم؟

الحرب على غزّة: لن تسلّم غزّة

"الولايات المتّحدة تعيد صياغة اقتراح الهدنة مقابل الرّهائن سعيا لإحياء المفاوضات".

هذا عنوان لمقال نشر بتاريخ 29 يونيو 2024 على إحدى صفحات صحيفة عبرية. ويعكس العنوان مضمون المقال الذي من ضمن ما تناوله اقتراح بصياغة جديدة لبعض بنود اقتراح المفاوضات الذي كان "جو بايدن" قد طرحه بتاريخ 31 مايو 2024 بين دولة الاحتلال وحركة حماس.

ومن ضمن ما استوقفني في هذا المقال، محادثات المرحلة الأولى من الاتّفاق التي تضمّنت مناقشة نزع سلاح المقاومة الفلسطينية في غزّة، والذي رفضته حركة حماس. ومن الطّبيعي أن يكون هذا هو موقفها من هكذا اتّفاق، فالحركة لن ترضخ لإرادة الدّولة المغتصبة بالتّنازل عن سلاحها وتسليم القطاع لقطعان المستوطنين يعيثون بها فسادا كما يريد وزير المالية "بتسلئيل سموتريتش"، ومخطّطاته بإنشاء مستوطنات جديدة في غزّة وفي الضّفة الغربية. ولن تقبل الحركة أيضا أن تتحكّم بغزّة الدّول التي ساهمت في إبادة شعبها على حسب أحد اقتراحات من يحكم غزّة في اليوم التّالي للحرب. هنا ما كان من "نتنياهو" إلّا أن اتّهم -كما هي عادته دائما- حركة حماس بعرقلة المفاوضات بهدف شيطنتها أمام الرّأي العام العالمي.

ويوم 1 يوليو ورد بنفس الصّحيفة مقال تضمّن تصريحا لمسؤول يهودي يقول فيه أنّ "إسرائيل ملتزمة بشروط الاقتراح الذي أيّده الرّئيس الأمريكي بايدن". كما تناول المقال تصريحا لمسؤول في حركة حماس يقول فيه أنّ "المجموعة تلقّت مقترحا في 24 يونيو لكنّه لا يتضمّن شيئا جديدا".

هنا نرى أن كاتب هذا المقال أيضا يقوم على شيطنة حركة حماس، وفي المقابل يؤكّد على النّوايا الحسنة لدولة الاحتلال بقيادة "نتنياهو" الذي يدعم الصّفقة كما قدّمها "بايدن" قبل شهر، ويلقي باللّوم على حماس في تأخيرها. في حين أنّ الحقيقة هي أنّ "نتنياهو" هو من يعمل على عرقلة المفاوضات كلّ مرة بهدف إطالة زمن الحرب من أجل مصالح شخصية تعود له.

ثمّ يذكر المقال تعهّد "نتنياهو" بأنّ دولته ستقوم بالقضاء على الحركة واستعادة الرّهائن، ويؤكّد لكلّ من يشكّك في تحقيق هذه الأهداف بألّا بديل عن النّصر، وأنّ الحرب لن تنتهي حتّى يحقّق كلّ أهدافه.

من هنا نردّ على "بنيامين نتنياهو" بأسئلة منطقية كرّرها غيري وصرخ بها الكثيرون وهي: لماذا يتوجّب على حركة حماس أن تقبل بنزع سلاحها وهي صاحبة الحقّ والأرض، وهي أيضا حركة مقاومة كباقي حركات التّحرر عبر التّاريخ البشري، سوى أنّ حركة حماس تجابه دولة استيطانية واستعمارية بنفس الوقت، تقاتل بهدف إزاحة مستعمر عنصري فاشي واستعادة أرضها ومقدّساتها وحقوق شعبها المستباحة منذ عقود؟ ولماذا يحقّ للمعتدي الغريب الذي جاء من شتات الأرض واستولى على حقوق غيره، يقتل ويرتكب الفظائع باسم الخرافات والأساطير الزّائفة التي أصبحت مراجعا تاريخية ثبّتت هوية من لا هوية له وطمست هوية الآخر الشّرعي، أن يمسك زمام الأمور ويتحكّم بها؟ كيف يُطلب من صاحب الحقّ أن يفاوض على حقّه؟ بل لماذا يتحتّم عليه أن يرضخ ويستكين لمن لا يملك ذرة تراب في الأرض؟

لكن حركة حماس لن تسلّم سلاحها، ولن تسمح بأن يذهب ما حقّقه 7 أكتوبر من انتصارات فاقت انتصارات جيوش مجتمعة وهزيمة الجيش الدّموي الجبان أدراج الرّياح. وغزّة لا زالت تلملم أشلاء أبنائها، تبكيهم كلّ صباح ومساء. غزّة التي تبكي مساجدها، مدارسها، جامعاتها، مكتباتها، لن تسلّمها حركة حماس

ما دام فيها أصبع مقاوم تضغط على الزّناد بثبات. لن تسلم حماس وأبطالها من المقاومة، يتكاثرون مثل قطرات الغمام، يهطلون بسخط على رؤوس جيش الشّتات المأزوم، فتقتلهم أو تصيبهم بالجنون.

الحرب على غزّة: سرديّة الانتصارات ووهم التّفكيك

ما بني على باطل فهو باطل. ودولة الاحتلال من قبل قيامها وبعده بنيت على الباطل، حين قامت في أساسها على سردية الخرافة والأساطير. فسردية "أرض الميعاد" لما أسمتهم "شعب الله المختار" ليست سوى خرافة، والحقيقة هي أرض فلسطين لشعبها الفلسطيني. لا بدّ للخرافة أن تنهار يوما، أمّا الحقيقة فهي راسخة رسوخ جبال فلسطين.

اليوم في حربه على غزّة، يعتمد "بنيامين نتنياهو" السّرديات الكاذبة التي تروّج لانتصارات جيشه وتحقيق الأهداف العسكرية التي وعد بتحقيقها أمام المجتمع اليهودي، وأنّ هناك توافق بين المستوى السّياسي والعسكري. غير أنّ السّردية الحقيقية هي أنّ جيشه مهزوم ولم يحقّق شيئا من تلك الأهداف. فهو لم يفكّك المقاومة الفلسطينية، ولم يستعد الأسرى، بل إنّ جُلّ ما حقّقه ارتكاب جرائم الإبادة الجماعية بحقّ المدنيّين، وغيرها من جرائم الإبادة التي شملت المستشفيات والمدارس والجامعات والمكتبات والمساجد، بل وأباد البنى التّحتية للقطاع وأتى على محو معظمها.

"نتنياهو" يكذب حينما يتحدّث عن انتصارات جيشه وهو الذي يسير بهم دون استخدام استراتيجية واضحة لتحقيق الأهداف وإنهاء الحرب كما يحلم. فها هم كبار جنرالات دولة الاحتلال يعتقدون أنّ الهدنة ستكون أفضل طريقة لاستعادة المحتجزين لدى حركة حماس، كما أنّهم يريدون وقف إطلاق النّار حتّى لو أدّى ذلك إلى إبقاء حماس في السّلطة.

غير أنّ رغبات هؤلاء اصطدمت بتعنّت "بنيامين نتنياهو" الذي لا يرغب في إنهاء الحرب قبل تحقيق أهدافه المزعومة. بل إنّه سينتقل بجيشه إلى المرحلة

الثّالثة والأخيرة من الحرب على غزّة خلال الشّهر الجاري. وتشمل هذه المرحلة البقاء في محوريّ نتساريم وفيلادلفيا بهدف الضّغط على حركة حماس.

ولعلّه نسي أنّ محور نتساريم الذي يفصل مدينة غزّة وشمالها عن وسط القطاع، يتعرّض لأفخاخ المقاومة وكمائنها وصليات نيرانها، وعشرات قنابل الهاون من قبل المقاومة الفلسطينية. ويبدو أيضا بأنّ "نتنياهو" غابت عن ذهنه الكمائن التي أعدّتها المقاومة لجيشه في محور فيلادلفيا، ونسي أيضا عمليات الاستدراج والعبوات الرّعدية والقنابل المضادّة للأفراد التي تعرّض لها هذا الجيش المأزوم، فقتلت وجرحت منهم الكثير.

وقد يكون أيضا قد تغافل عن التّسعمائة ضابط الذين أبلغوا قياداتهم بعدم رغبتهم في تمديد عقودهم للخدمة الدّائمة في الجيش، ويعتبر هذا العدد كبيرا قياسا مع السّنوات الماضية. كما يبدو أيضا أنّه صمّ أذنيه عن أخبار رافضي الخدمة من جنود الاحتياط ومن "الحريديم"، وكذلك عن أخبار المنتحرين وآلاف المصابين بالأمراض النّفسية جراء ما واجهوه في غزّة.

اليوم جيش الاحتلال بحاجة إلى آلاف الجنود لتعويض النّقص واستكمال القتال في غزّة وسط ذلك الرّفض. اليوم جيش الاحتلال مأزوم ومستنزف يلتقط أنفاسه الأخيرة، ولولا مرتزقة العالم وجيوش الدّول الدّاعمة لدولة الاحتلال لما بقي في غزّة إلى هذا اليوم، بل ولما صمد يوما واحدا منذ بداية الحرب أمام المقاومة المباركة.

فبأيّ جيش سيكمل "نتنياهو " ويفكّك مقاومة تأخذ دولته نحو الزّوال؟